الترجمة والمثاقفة

أ/ سارة بوزرزور جامعة وهران1

الملخّص باللّغة العربيّة:

يُعرّف مصطلح "المثاقفة" في حقلي علم الإجتماع والأنثروبولوجيا الثّقافية بأنّه دراسة التطوّرات النّاتجة عن اتّصال ثقافتين تَتأثّر وتُؤثِّر إحداهما في الأخرى. وقد أصبحت المثاقفة مع الآخرأمرًا حتميًّا تفرضه طبيعة الحياة الحاضرة السّائرة نحو التّحاور والتّقارب بين الشّعوب والحضارات،ووسيلتها في ذلك التّرجمة.

وتتمثّل شروط المثاقفة فيالإعتراف بواقع التنوّع الثقافيّ وبالخصوصيّات الثقافيّة وبالعلاقة العضويّة والحميمة بين الثّقافة والمجتمع، والمشاركة الطّوعية والتّفاعل السلميّ، وتسليم كلّ طرف من أطراف الحوار بأنّه لا يمتلك الحقيقة المطلقة، والإيمان بأنّ المعرفة نسبيّة لا تكتمل إلّا بالتّفاعل مع الآخرين، وأنّوعي الآخر شرط أساس للوجود في العالم، ووعي الذّات شرط أساس لإنتاج الهويّة وعليه لا بدّ من خطاب منتج يستثمر صراعاته المعرفيّة ويجتاز عزلته ويشكّل تفوّقه بين المتفوّقين، بالإضافة إلى القدرة على النّقد الذّاتي وتعرية كلّ ما يعوّق الحوار أو يحول دونه، سواء على المستوى الدّاخلي أو المستوى الخارجي.

أمّا مجالات المثاقفة فتتمثّل فيمجال الأفكار والتّصورات وما يجري فيه من تبادل للعلوم والمعارف، ومجال التّواصل اللّغوي، ومجال الإبداع في الفنون والمهارات والخبرات، ومجال التّقاليد والعادات والأخلاق والسلوكيّات. في حين أنّالأبعاد الّتي تحكم المثاقفة أربعة، وهي: الوعي بالهويّة الثقافيّة (الذّاتية) والإطمئنان إليها، والإعتراف بهويّة الآخر المستقِلّة، ووضع ثقافة في مواجهة ثقافة، أو جملة من التصوّرات والمعتقدات والرّؤى في حوار مع تصوّرات ورؤى مغايرة، دون تَوَسُّل عناصر خارجة عن الثّقافة، ودون ٱلتماس أدوات غير ثقافيّة تَنصر ثقافة وتُحطّم أخرى، والسّماح للهويّة أن تحاور "الآخر" بٱستقلال كبير واثقة بذاتها، دون أن تُزوّر ما تقرأ أو تُزوّر ذاتها، ودون أن تقع بما سيدعى، لاحقًا، بـ"التبعيّة الثقافيّة".

لذلك تكمن أهميّة المثاقفة الحقيقيّة في أنّها طرحٌ لرؤيتنا على الآخر، وطرح رؤية هذا الآخر علينا، فالمثاقفة هي تفاعل بين الذّات والآخر من أجل صياغة جديدة، تعكس رؤية تطوريّة وحضاريّة للعالم، حيث إنّها تختزل واقع تعايش ثقافات مختلفة وتلاقحها، تقوم على أساس من الشّراكة الضمنيّة بين (الأنا) و(الآخر) بغية إنتاج معرفة موضعيّة، تهدف إلى الإرتقاء بالإنسان وشروط حياته.

والتّرجمة تُعتبر إحدى أهمّ وسائل المثاقفة لأنّها لا تقتصر على كونها عمليّة تُقرّب اللّغات فحسب، بل هي كذلك فعل ثقافيّ متطوّر ينتج عنه فعل مثاقفة طويلة الأمد على صعيد الأفراد والجماعات، ويظلّ هذا الفعل الثّقافيّ يوسّع دائرة لمثاقفة في بيئته، حيث إنّ غايته من وراء ذلك ٱستيعابأكبر قدر ممكن من

المعارف الإنسانيّة، وٱكتساب خبرات الآخرين وجعلها سلاحا له في التطوّر والإرتقاء والمنافسة ثمّ العطاء الحضاريّ الثريّ، كما أنّ التّرجمة هي المفتاح الّذي تتفادى به الأمم الإنغلاق الفكريّ من جهة، وتتخلّص من خلاله من التبعيّة المطلقة المفضِية إلى الذّوبان في الآخر من جهة أخرى.

وللحصول على ترجمة ناجحة حقّا تُحقّق فعل مثاقفة، فإنّ الإزدواجيّة الثقافيّة أكثر أهميّة من الإزدواجيّة اللغويّة؛فالتّرجمة ليست مجرّد فعل لسانيّ، بل هي فعل ثقافيّ أيضا، أي فعل تواصل بين الثّقافات. ودائما ما تنطوي التّرجمة على كلّ من اللّغة والثّقافة، ببساطة لأنّ كلتيهما لا يمكن فصلهما عن بعضهما البعض، فاللّغة جزء لا يتجزّأ من الثّقافة فهي تعبّر عن الواقع الثقافيّ وتشكّله على حدّ سواء، كما أنّ دلالات العناصر اللّسانية سواء كانت كلمات أو مقاطع أكبر من النصّ لا يمكن أن تُفهم إلّا ضمن السّياق الثّقافي الّذي وُظّفت فيه.

الكلمات المفتاحيّة باللّغة العربيّة:

التّرجمة – المثاقفة –التنوّع الثّقافي – التّلاقح الثّقافي –حوار الحضارات – الإزدواجيّة الثّقافيّة –اللّغة والثّقافة.

(**Résumé**)

L'acculturation est le terme que nous utilisons pour définir à la fois le contact culturel et le changement culturel. En tant que tel, l'acculturation est un processus dynamique, dont découlent deux formes dynamiques de réaction : l'ouverture ou la fermeture au changement culturel.

L'acculturation qui vient de la traduction des particularités culturelles contribue à la compréhension des autres comportements et manières de penser. Leurs traductions nous offrent l'opportunité de pouvoir communiquer notre point de vue, et ainsi, d'être compris et respectés. Et c'est pour cela que le traducteur se trouve toujours convaincu que la traduction forme une passerelle entre les cultures. Chaque pays a ses cultures, chaque traducteur en est pétri par son éducation, ses relations, son lieu de naissance, mais chacun a sa vision du monde, on est tous enfermés dans les limites du temps, ces limites nous donnent une vision particulière de l'homme, ou bien on s'en ferme dans ces limites, ou bien on sort pour aller partager avec les autres. C'est ce partage qui permet d'avancer.

(**Mots-clés**

Traduction – Acculturation – Langue et culture – Contact culturel – Changement culturel – Dialogue des civilisations –Diversité culturelle.

(**Abstract**):

Acculturation is the term we use to define both cultural contact and cultural change. As such, acculturation is a dynamic process, from which flow two dynamic forms of reaction: openness or closure to cultural change.

The acculturation which comes from the translation of cultural peculiarities contributes to the understanding of other behaviors and ways of thinking. Their translations offer us the opportunity to communicate our point of view, and thus to be understood and respected. That is why the translator is still convinced that translation forms a bridge between cultures. Each country has its cultures, every

translator is kneaded by its education, its relationships, its place of birth, but each one has his vision of the world, we all are locked within the limits of time, these limits give us a particular vision of Man, or we closeourselves within these limits, or we go out to share with others. It is this sharing that makes progress.

(**Keywords**):

Translation – Acculturation – Language and culture – Cultural contact – Cultural change – Dialogue of civilizations– Cultural diversity.

مقدّمة:

على الرّغم من أنّ الثّقافة تعرَّف بشكل عامّ على أنّها ذلك الكلّ المركّب الّذي يضمّ المعرفة، والعقائد، والفنّ، والأخلاق، والقانون، والعرف وكلّ القدرات والعادات الأخرى الّتي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في مجتمع، إلّا أنّنا نقرّ بأنّ الكثير من مكوّنات هذه الثّقافة يتعذّر انخراطها في نسق تفاعليّ بين ثقافتين مختلفتين، وذلك محكوم بعامل اختلاف "لغة الانطلاق" الّتي ينتج من خلالها "الفن" و"العادات"، الأمر الّذي يتطلّب تدخّل "وسيط" يُسهم في خلق جسور التّفاعل والتّقارب بين الثّقافات، وفقا لما تقتضيه حتميّة "المثاقفة". ولعلّ خير وسيط لتدعيم التّقارب الثقافيّ هو المترجم، فتغدو التّرجمة بذلك أداة فعّالة لتجسير الهوة بين الثّقافات، وعنصرا معرفيّا هامّا يسهم في تنمية الفكر والمعرفة.

وكثيرة هي تلك الكنوز الّتي أسهمت التّرجمة في حفظها وكشفها للبشريّة؛ لتكون التّرجمة بذلك أبرز واسطة ترضي نَهَم بني البشر العلميّ وتشبع فضوله المعرفيّ؛ فهي نشاط حيويّ واستراتيجيّ فتح مجالات الحوار والتّفاعل بين الشّعوب، كما أنّها نافذة نطلّ من خلالها على ثقافات غيرنا من الأمم.

لقد كانت الإشكاليّة الثقافيّة ولا تزال إحدى أهمّ المعضلات الّتي يواجهها الدّرس الترجميّ، إذ يصاحبها في أغلب الأحيان قول بعدم إمكانيّة تحقيق الفعل الترجميّ، ممّا دفع بالعديد من المنظّرين والباحثين في هذا الميدان إلى تدارس عنصر الثّقافة لاسيّما في المجال الترجميّ الأدبيّ، وها نحن على غرار هؤلاء الباحثين، نسعى من خلال هذا المقال وفي محورين رئيسيّين موسومين ب"المثاقفة" و"التّرجمة وفعل المثاقفة"، إلى

تسليط الضّوء على مفهوم المثاقفة وعلاقته بالتّرجمة، وكذا دور التّرجمة في التّبادل الثّقافيّ والمعرفيّ وبناء جسور التّواصل والتّلاقح بين اللّغات والثّقافات والشّعوب.

أوّلا: فعل المثاقفة:

المتعارف عليه في الوقت الرّاهن أنّ المثاقفة تشمل مختلف أشكال تلاقي وتعامل ثقافة مع ثقافة أخرى، ولكن في ظلّ فوضى المصطلحات الّتي يعرفها عالمنا العربيّ، أصبح مصطلح المثاقفة يتداخل في المفهوم مع غيره من المصطلحات الحديثة. وإذا ما دقّقنا أكثر في هذه المفاهيم، وعلاقتها بالتّرجمة وجدنا أنّ التّعريف القديم للتّرجمة قد أصبح بحاجة إلى إنعاش لا شكّ فيه، كما أصبحت رقعته هي الأخرى بحاجة إلى تحديث يصحّح مساره، لتصبح التّرجمة عندئذ أداة رفض للهيمنة تتجاوز ثنائيّتي المركز والهامش إلى ثنائيّات ثقافيّة همّها المثاقفة أكثر منه أيّ شيء آخر.

وبالعودة إلى أوّل ظهور لمصطلح "المثاقفةAcculturation"، فقد كان أنثروبولوجيّ وأمريكا الشّماليّة سبّاقون إلى ٱبتداعه، حيث تعود أوّل نشأة لهذا المصطلح إلى عام 1880م على يد المستكشف الأمريكي "جون ويسلي باول John Wesley POWELL"، والسّابقة "Le préfixe" "a" لمفردة"Acculturation" هي مشتقّة من السّابقة اللّاتينية "ad" الّتي تدلّ على "الإقتراب أو الدّنو Le rapprochement".في حين كان الإنجليز يؤثرون ٱستعمال مصطلح "التّبادل الثّقافيCulturalexchange". أمّا الإسبان فقد كانوا يميلون إلى ٱعتماد مصطلح "المناقلة الثّقافيّةTransculturation". بينما فضّل الفرنسيّون التّعبير عنه بمصطلح "تداخل الحضارات Interpénétration des civilisations". غير أنّ مصطلح أمريكا الشّماليّة "المثاقفة Acculturation" هو الّذي فرض ٱنتشاره وتداوله في نهاية المطاف(**1**). ومع ذلك كان لابدّ من ٱنتظار ثلاثينيّات القرن العشرين لنشهد نهوض تفكير منهجيّ وناضج حول ظواهر تلاقي الثّقافات.

وقد قاد هذا التّفكير أنثروبولوجيّي أمريكا الشّماليّة وعلى رأسهم"ملفيل جون هيرسكوفيتشMelville Jean HERSKOVITS" إلى وضع تعريف دقيق لمصطلح المثاقفة، على الرّغم من ضخامة المعطيات الّتي تمّ جمعها حول موضوعه، حيث قام مجمّع البحوث في العلوم الإجتماعيّة بتكليف لجنة سنة 1935م مشكّلة من كلّ من "**روبرت ريدفيلد** Robert REDFIELD" **و"رالف لينتون**Ralph LINTON"وبطبيعة الحال، من "ميلفيل هيرسكوفيتش"بهدف تنظيم البحث حول وقائع المثاقفة، وقد أصدرت اللّجنة في نهاية أشغالها ما ٱشتهر بٱسم "مذكّرة لدراسة المثاقفة"، التّعريف الّذي أصبح معتمدا منذ ذلك الحين:

« L'acculturation comprend les phénomènes qui résultent du contact direct et continu entre des groupes d'individus de culture différente, avec des changements subséquents dans les types culturels originaux de l'un ou des deux groupes »(2).

"تشمل المثاقفة جميع الظّواهر النّاتجة عن الإتّصال المستمرّ المباشر بين أفراد ينتمون لثقافتين مختلفتين، وما يترتّب عن ذلك من تغيّرات في الأنماط الثّقافيّة الأصليّة عند إحداهما أو كليهما". (التّرجمة لنا).

في حين أنّ عالم الإجتماع والأنثروبولوجي الفرنسي "روجي باستيد Roger BASTIDE" قد عرّفها على أنّها:

« L'acculturation est l'étude des processus qui se produisent lorsque deux cultures se trouvent en contact et agissent et réagissent l'une sur l'autre »(3).

"دراسة ما ينتج عن اتّصال ثقافتين تتأثّر وتؤثّر إحداهما في الأخرى". (التّرجمة لنا).

بمعنى أنّ مصطلح المثاقفة يدلّ في حقل علم الإجتماع والأنثروبولوجيا الثّقافيّة على ظاهرة تأثير وتأثّر الثّقافات البشريّة بعضها ببعض بفعل اتّصال واقع فيما بينها، أيّا كانت طبيعته أو مدّته. كما يدلّ على العمليّات والآليّات الّتي بمفعولها تتأثّر ثقافة جماعة بشريّة معيّنة، وتتكيّف جزئيّا أو كليّا، مع مكوّنات ثقافة جماعة بشريّة أخرى توجد في حالة علاقة معها. أي أنّ المثاقفة نوع من ردّ فعل كيان ثقافيّ معيّن، تجاه تأثيرات وضغوط ثقافيّة تأتيه من خارجه، وتمارس عليه مباشرة أو عن طريق غير مباشر، علانيّة أو بكيفيّة خفيّة تدريجيّة. إنّها طريقة التّفاعل والتّكيّف مع ثقافات الآخرين المغايرة إراديّا أو اضطراريّا، إمّا بكيفيّة واعية ومقصودة، وإمّا بكيفيّة شعوريّة تقبّليّة(**4**).وهنا نستشفّ فكرة تبنّي ثقافة لثقافة أخرى طوعا أو قسرا، وهو ما أكّده "تران فان خاي Trần Văn Khê"، الموسيقار الفيتنامي والإختصاصيّ في موسيقى الفيتنام التّقليديّة حين اعتبر المثاقفة على أنّها:

"Acculturation is the process by which a people adopts a culture other than its own"(5).

"المثاقفة هي عمليّة تبنّي شعب ما لثقافة مختلفة عن ثقافته الخاصّة". (التّرجمة لنا).

إلّا أنّ هذه الإضافات الّتي قدّمها كلّ من أنثروبولوجيّي أمريكا الشّماليّة وفرنسا أمثال "روجي باستيد" و"جورج ديفرو George DEVEREUX"(**6**) وآخرون لتوضيح مفهوم المثاقفة، تجعل من أنّ التصوّرات والمقاربات مازالت ممكنة ومهمّة إلى يومنا هذا، وأنّ الجزم في المفاهيم المتعلّقة بالتّثاقف والمثاقفة

يحتّم علينا ضرورة فهم ما نقصده بالثّقافة(7). ففي تفسيرنا لهذه الكلمة (الثّقافة)، لن نعود إلى عشرات التّعريفات القاموسيّة، وإنّما سنعتبر أنّ الثّقافة هي حصيلة المعارف والقيم الحافزة إلى السّلوك، أي **"المعارف الّتي تتوارث في مجتمع وتتلقّى في الأسر والمدارس وتكيّف السّلوك الفرديّ والجماعيّ"**(8). حيث عرّفه الؤي صافي بأنّها:"**المحتوى الأخلاقي والفكري الّذي يوجّه السّلوك العام، ويحدّد الفعل الجماعيّ المشترك لمجموعة سكّانيّة محدّدة"**(9). كما يقصد بها في أحيان كثيرة مجموعة الخصائص المحدّدة لمجتمع ما، فنقول مثلا ثقافة صينيّة، ثقافة عربيّة أو غربيّة...كما أنّها تعني مجموعة المفاهيم والقيم والخبرات المشتركة لمجتمع أو جماعة ما، تتجلّى عمليّا من خلال أسلوب في الحياة، أو من خلال مؤسّسات وقوانين وقواعد وسلوك وأساليب تنظيم وإنتاج لهذا المجتمع(10).

بينما يعرّفها"كلود ليفي ستروس Claude LÉVI-STRAUSS"قائلا: **"إنّ الثّقافة أو الحضارة، هي مجموع العادات والمعتقدات والمؤسّسات مثل: الفنّ والقانون، والدّين، وتقنيّات الحياة الماديّة. وبٱختصار هي كلّ العادات والمهارات الّتي يكتسبها الإنسان بصفته عضوا في مجتمع"**(11). ومن الواضح أنّ "ستروس" يرادف في هذا التّعريف بين مفهوم الثّقافة ومفهوم الحضارة، فكلّ واحد منهما يمكن أن يحلّ محلّ الآخر في نظره. ومن خلال تعريفه للثّقافة يلامس "ستروس" سؤال المثاقفة مشيراً إلى عناصر ثلاثة، حيث يقول:

- **أوّلا**: لا وجود لثقافة إلاّ في هويّة محدّدة تميّزها عن غيرها، فإن ٱنتفى التميّز ٱنتفت الثّقافة وأصبحت باطلة ولاغية، ممّا يجعل كلّ حديث سويّ عن الثّقافات حديثاً عن الهويّات الثقافيّة.
- **ثانيا**: لا وجود لثقافة محدّدة إلّا في علاقتها بثقافات أخرى مختلفة عنها، كما لو كان الإختلاف قوام الهويّة الثقافيّة وشرط حوارها مع الهوِيّات الأخرى. فلا حوار بلا ٱختلاف ولا ٱختلاف بلا هويّة، ولا هويّة إلّا بوعي الفرق بين "الأنا" و"الآخر".
- **ثالثا**: فضيلة الإعتراف المتبادل بين الثّقافات المختلفة، دون النّظر إلى ما تتّفق فيه وتختلف عليه، لأنّ الإعتراف تعبير عن موضوعيّة الإختلاف وعن الوعي الموضوعيّ، الّذي يحتفي بالحوار ويستنكر الإلغاء(12).

كما ينتقد "كلود ليفي ستروس" بقوّة التصوّر العنصريّ الّذي يربط بين ظاهرة التعدّد والإختلاف الثّقافي، وبين الإختلاف العرقيّ السلاليّ، ربطا ضروريّا، ويحاول تقويض الإدّعاءات العلميّة الّتي يستند إليها، من خلال منظور خاصّ به، قائلا: **"إنّ الإسهام الحقيقي لأيّة ثقافة لا يتكوّن من قائمة الإختراعات الّتي أنتجتها، بل من ٱختلافها عن غيرها. فالإحساس بالعرفان والإحترام لدى كلّ فرد في أيّة ثقافة تجاه الآخرين لا يقوم إلّا على الٱقتناع بأنّ الثّقافات الأخرى تختلف عن ثقافته في جوانب عديدة، حتّى وإن كان فهمه لها غير مكتمل، ومن ثمّ فإنّ فكرة الحضارة العالميّة لا تُقبل**

إلاّ بٱعتبارها جزء من عمليّة شديدة التّعقيد. ولن تكون هناك حضارة عالميّة بالمعنى المُطلق الّذى روّج البعض لٱستخدامه، لأنّ الحضارة تعني تعايش الثّقافات بكلّ تنوّعها. والحقيقة أنّ أيّة حضارة عالميّة لا يمكن أنْ تُمثّل إلّا تحالفًا عالميًّا تحتفظ فيه كلّ منها بأصالتها"(13).

وقد ٱعتمد "ستروس" لهذا التصوّر على الأفكار الرئيسيّة الثّلاثة الآتية:

أ. نفي وجود أيّة علاقة مباشرة وضروريّة بين تقدّم وٱزدهار الثّقافات البشريّة، وبين ما يدعى بالتفوّق والإمتياز العرقيّ.

ب. إبراز الطّابع النسبيّ للقيم والمعايير الّتي يتم بواسطتها تصنيف البشريّة في خانات التقدّم والتخلّف.

ج. التأكيد على أنّ الإزدهار الحضاريّ والثقافيّ، لا يمكن أن يتحقّق إلّا في ظروف تلاقح الثّقافات وتفتّحها على بعضها بعضا. فالتّواصل والتّعاون بين المجتمعات البشريّة من خلال ثقافاتها يعدّ مصدرا للإثراء المتبادل(**14**).

وفي السّياق نفسه، ومن أجل تفسير ظاهرة تعدّد أشكال الثّقافة البشريّة وتنوّعها، يحيل "كلود ليفي ستروس" ذلك إلى ما يمتلكه العقل البشريّ من قدرة كبيرة على التّأليف والتّركيب والتّحويل، ٱنطلاقا من مبادئ وعلاقات ضروريّة محدّدة، على غرار ما هو عليه الأمر في اللّغة. فليست تلك الأشكال سوى نماذج وصيغ صادرة عن الإمكانيّات اللّاشعوريّة نفسها، أي البنيات اللّاشعوريّة بٱعتبارها خصائص أساسيّة للدّماغ البشريّ. وتماثل المسألة بلعبة الشّطرنج، فقواعد هذه اللّعبة ثابتة ومحدودة، ولكنّ أشكال وصيغ المباريات الّتي يمكن أن تنتج عن تلك القواعد، كثيرة جدّا(**15**).

ومن خلال ما سبق ذكره عن المثاقفة وعلاقتها بالثّقافة، يمكن القول إنّ فعل المثاقفة حتميّ الحدوثلأنّه يعدّ مستحيلا أن تعيش الثّقافة في فضاءات مغلقة، لأنّها قراءات متعدّدة في كتاب مفتوح، موضوعه الإنسان وما حوله، وبالتّالي يصعب عليها أن تحيا ضمن نظام لغويّ ورمزيّ بمعزل عن العالم وتغيّراته الفكريّة والعلميّة والأدبيّة. وإذا كانت الثّقافة فعلا يؤدّي إلى قيام الحضارة ويضمن ٱستمرار نموّها، فإنّ "المثاقفة" تفاعل بين الحضارات على مستوى الثّقافات. ما من مجتمع إلّا وله ثقافته، حتّى وإن كان بدائيًا، فبها يدخل في تفاعل ثقافيّ مع ثقافات أخرى، وعن هذه العلاقة تتولّد "مثاقفة" تنحو نحو الإنفعال أو الفعل أو التّواصل. وذلك عبر طرق مختلفة نعدّد منها: الإستعمار، الرّحلات، الأسفار، المبادلات التّجاريّة، الجوار، التّرجمة...وغيرها، وتعتبر التّرجمة أهمّها وسنعلّل ذلك لاحقا. ومن خلال هذه الطّرق تؤدّي المثاقفة إلى ٱكتساب عناصر جديدة بالنّسبة لكلتا الثّقافتين المتّصلتين(**16**)، حيث يترتّب عن ذلك الإتّصال حدوث تغيّرات في الأنماط الثّقافيّة الأصليّة السّائدة في تلك الجماعات المتثاقفة.

ولا ريب أنّ المثاقفة على صيغة مفاعلة، وهي صيغة تدلّ على المشاركة والمصاحبة، أي الإشتراك في ثقافة معيّنة والتّبادل بين ثقافة وأخرى،وهي تواصل ثقافي بين الأمم والثّقافات لا تقتصر مظاهره على جانب الأخذ والإقتباس فقط، بل كذلك على جانب البذل والعطاء الّذي يمكن أن تؤثّر به ثقافة ما في غيرها من الثّقافات، بحكم المخالطة والجوار أو بفضل رقيّها وٱنتشارها وإشعاعها، وذلك لأنّ المثاقفة في كنهها عمليّة مشتركة تقوم على مبدأي الأخذ والعطاء، وإن كانت مسألة التأثّر والإستيعاب يمكن أن تحصل من جانب دون آخر كما يمكن أن تكون كليّة أو جزئيّة(17). ويوضّح جورج طرابيشي فكرة حصول مسألة التأثّر والإستيعاب في فعل المثاقفة من جانب دون آخر بقوله: "**إنّ عمليّة المثاقفة، بٱفتراضها وجود طرفين موجب وسالب، فاعل ومنفعِل، ملقِّح وملقَّح، تطرح نفسها على الفور كعمليّة ذات حدّين مذكّر ومؤنّث**"(18). فهو يرى مفهوم المثاقفة هنا، على أنّه إثراء لمحتويات ثقافة لتلقيح ثقافة أخرى، حيث إنّ الثّقافة القويّة المميّزة، تخلق حقيقتها وتولّد مفاعيلها، وتفرض نفسها أمام باقي الثّقافات.

وهذه الفكرة الّتي تحدّد طبيعة المثاقفة بحسب قوّة الشّعوب المتثاقفة وفق قوّة ثقافتها هي الّتي جعلت "ستروس" يغيّر رأيه في نهاية المطاف أمامتلاقح الثّقافات البشريّة فيما بينها، وٱنفتاحها على بعضها البعض، الّتي لطالما ٱمتدحها وٱعتبرها في السّابق فضيلةومصدرالإثراء الثّقافات وٱزدهارهاوشرطا لازما لكلّ ٱزدهار ثقافيّ، فقد بدأت أهميّتها تتلاشى فيما بعد، وفقدت جاذبيّتها ولم تعد في نظره سوى عامل من العوامل الّتي أصبحت تهدّد الخصوصيّات الثّقافيّة بالإندثار، لأنّ أكبر خطر صار يتوعّد البشريّة الآن حسب "ستروس" أصبح يتمثّل في التّجانس الكبير والتّشابه المتزايد بين أنماط وأساليب الحياة والتّفكير والمواقف، نتيجة لٱنهيار جميع الحواجز بين الثّقافات، وسقوط جميع العراقيل أمام التّواصل بين المجتمعات البشريّة(19). وذلك لأنّ "حوار الثّقافات" بعد أن كان عمليّة تحدث تلقائيّا وعفويّا بين النّاس والشّعوب والدّول دون تأصيل أو تقنين أو دراسة، أصبح اليوم من المفاهيم والمعاني المستحدثة، الّتي ظهرت في المواثيق والمعاهدات الدّوليّة، في النّصف الأخير من القرن العشرين، بهدف إيجاد نوع من التّفاهم وإزالة التوتّر بين الأجناس البشريّة ذات الخصوصيّات الثّقافيّة في الشّرق والغرب، الّتي ٱنتهت في النّهاية بالقضاء على هذه الخصوصيّات الثّقافيّة خدمة للشّعوب القويّة.حيث إنّ المفهوم الكولونيالي الإستعماريّ للمثاقفة يرى بأنّ الشّعوب المغلوبة قد ترفض الحضارة الغالبة فتفنى، وقد تقبلها وتتكيّف معها، وقد لا تتكيّف لأنّها لا تطابق حاجاتها ومزاجها، وهذا مفهموم كولونيالي ٱستعماريّ للتّغيّر الحضاريّ قدّمته الأنثروبويوجيا الحضاريّة الغربيّة(20). فقد أصبح يندرج في وقتنا هذا، في مفهوم المثاقفة المعنى الّذي يفيد تأثير ثقافة قويّة أو مستقوية وغازية وقاهرة، على ثقافة ضعيفة أو مستضعفة ومغزوّة ومقهورة، وكان هذا هو حال الثّقافة الغربيّة الإستعماريّة، في بلدان الشّمال على الثّقافات القوميّة والوطنيّة المحليّة في بلدان الجنوب. ومثال ذلك ما خضعت له الثّقافة الجزائريّة أثناء ٱحتلالها من قِبل فرنسا.

التصوّر ذاته نجده عند محمّد عابد الجابري،حيث يرى أنّ المثاقفة أو حوار الحضارات من المفاهيم الجديدة —وإن كان وجود هذا المصطلح بالقوّة قديما- الّتي جاءت بصفتها ردّ فعل على مفهوم صراع الحضارات، فعندما نشر "صمويل هنتجنتون Samuel HUNTINGTON" نظريّته حول "صدام الحضارات Le choc des civilisations" رفضها كثيرون ومن ثمّ أراد بعضهم أن يجد بديلا عنها وهو حوار الثّقافات أو حوار الحضارات. فقد تبنّت "اليونسكو UNESCO" مفهوم "التنوّع الثّقافيّ الخلّاق" الّذي صاغته دول العالم الثّالث، وقبلت به التيّارات الإنسانيّة الّتي تنطوي عليها دول العالم الأوّل، وقد تولّت مجموعة من كبار المفكّرين والمفكّرات الّذين يمثّلون قارّات العالم صياغة الأفكار الأساسيّة للمفهوم في كتاب أصدرته اليونسكو، بعنوان "التنوّع الثّقافي الخلّاق" وتولّى المجلس الأعلى للثّقافة في القاهرة ترجمته ونشره سنة 1979م بتقديم من كاتب هذا المقال. والمفهوم هو نقض للمركزيّة الأوروبيّة بوجه عام ومواجهة موازية لمفهوم صراع الحضارات، فهو يسعى إلى ٱستبدال الوئام بالنّزاع، ومحاولة لتحقيق التّكامل الثّقافيّ بين الأمم. وهو تكامل يقوم على المساواة والتّكافئ وتقدير الخصوصيّة الثّقافيّة والهويّة الحضاريّة لكلّ قطر من الأقطار، وذلك من منطلق الإيمان بأنّ كلّ ثقافة تمتلك من عناصر الغنى ما يضيف إلى غيرها من أنواع الغنى اللّانهائي في ثقافة البشر جميعا، ويؤدّي إلى قوّة حضورها الإنسانيّ بوصفها تنوّعا خلّاقا، يقوم على الحوار والتّفاعل والتّجاوب. وعندما تتجاور وتتحاور الثّقافات المتباينة الّتي ينطوي كلّ منها على ثرائها الخاصّ، وأصله بين ثوابتها ومتغيّراتها، في حال من الجدل الفعّال، والتّعاون المستمرّ، والتّفاعل القائم على التّكافئ، يكون النّاتج الإجمالي هو وحدة الثّقافة الإنسانيّة القائمة على التّنوّع الخلّاق الّذي يصل بين أقطار الكوكب الأرضيّ، دون أن يغمط أيّ قطر وقدره، ويؤسّس لعلاقات واعدة: قوامها الإعتماد المتبادل، والتّكافؤ الكامل(**21**).

بيد أنّ الحقيقة تخالف فحوى ما جاء به كتاب اليونيسكو "التنوّع الثّقافيّ الخلّاق"، إذ أنّ المفهوم (الأورو-أمريكي) للمثاقفة، لا يعني أبعد من الإنصياع لثقافة الإستعباد الّتي ينصبّ همّها على الإنتصار للمركزيّة الغربيّة. حيث يتبنّى هذا المفهوم مقولات تؤكّد غريزته الإستعباديّة منها: تحضير المتوحّش ومؤاخاة المتخلّف...وغيرها من المقولات الّتي تعكس نظرة الإستعلاء والإستعمار الثقافيّ، إذ تسعى لٱحتكار الآخر وتذويب هويّته(**22**). فالمثاقفة بالمفهوم الأورو-أمريكي تسعى لأن تكون الشّعوب تابعة لما تأتي به الدّول الكبرى من طروحات فكريّة، ثقافيّة غازية، محاولة منها جهد الإمكان أن تربط بين "سلطة المعرفة بالقوّة"، وكأنّ همّ المثاقفة هو السّعي إلى جعلنا نحتذي بالأنموذج الغربيّ كونه الأنموذج الأصحّ من حيث التّنظير والأصلح من حيث قبوله للتّطبيق في الشّعوب المفروض عليها، ومن ثمّ هي محاولة لطمس ثقافة تلك الشّعوب الممتحنة(**23**).

كما يرى الجابري أيضا، أنّ من يقول بحوار الثّقافات يقع في شباك "هنتجنتون" نفسه، لأنّه من النّاحية التّاريخيّة لا معنى لحوار الثّقافات، فالثّقافات تتداخل وتتلاقح. وهذا التّداخل يتمّ بشكل عفويّ لا إراديّ عن طريق الإحتكاك الحضاريّ عبر قنوات ووسائط مختلفة، وليس بشكل مخطّط له وإلّا اّعتبر غزوا ثقافيّا، خاصّة إذا مورست المثاقفة تحت ضغوط معيّنة من الغالب على المغلوب مثلما فعلت بعض الدّول الإستعماريّة على الشّعوب المستعمَرة في محو شخصيّة هذه الشّعوب وخاصّة اللّغة والدّين والعادات والتّقاليد لتصبغها بثقافة جديدة هي ثقافة المستعمِر(**24**).

فكرة الجابري ذاتها نجدها عند "برنارد لويس Bernard LEWIS" حينما يقول: **"عندما تتصادم حضارتان، تسود أحدهما وتتحطّم الأخرى"**(**25**)، بالتّالي تلغي ثنائيّة السّيطرة والإخضاع إمكانيّة الحوار، وتلغي معها فرضيّة "الحقيقة المجزوءة"، ذلك أنّ "الحقيقة الجوهريّة" قائمة في الصّدام وفيما آل إليه.

واّنطلاقا من ذلك يتّضح لنا أنّ فضاء المثاقفة في العصر الحديث يتحرّك في فضاء محدود أحاديّ الإتّجاه يعمل لصالح الغرب، بحيث لا يخرج عن المفهوم الغربيّ المتمركز على ذاته، حين يجعلها تتمّ من جهة واحدة تختزل تعايش وتلاقح ثقافات مختلفة في ثقافة أورو-أمريكيّة، ترى نفسها مركزا يتحاور مع ثقافات هامشيّة وبدائيّة، أي أنّ المثاقفة لا تحدث بين أمّتين أو شعبين أو حضارتين متساويتين، وإنّما تتمثّل في علاقة غالب بمغلوب وقويّ بضعيف، لذلك نجد مفهومها يعمل لصالح الغرب. فهي تعرّف من وجهة نظرهم على أنّها **"تبادل ثقافيّ بين شعوب مختلفة وبخاصّة تعديلات تطرأ على ثقافة "بدائيّة" نتيجة اّحتكاكها بمجتمع أكثر تقدّما، أو تأقلم ثقافيّ يفضي إلى رفع مستوى فرد أو جماعة أو شعب"**(**26**).

وفي مقابل هذه التصوّرات الخاصّة لهؤلاء المفكّرين عن المثاقفة والمفاهيم المتعلّقة بها والأمور الّتي تهدّد وجودها بشكل صحيح في العالم الحالي، نجد أنّ المثاقفةفيالغالب وفي الظّاهرلا تأخذ بعين الإعتبار عامل القوّة أي قوّة الشّعوب المتثاقفة،بمعنى أنّها تكيّف حضاريّ وتمثيل وحوار للثّقافات، يتمّ فيه اّقتباس شعب سواء أكان غالبا أم مغلوبا، مستعمِرا أم مستعمَرا لثقافة شعب آخر، أي ليس بالضّرورة حصول التّثاقف من الغالب على المغلوب حيث يكون هذا الأخير منفعلا وليس فاعلا. والحقّ أنّ هناك تضارب بين قيمتين لمفهوم المثاقفة، فالأوّل تفاعل بين ثقافتين بشكل متكافئ والثّاني يؤكّد أنّها هيمنة ثقافة على أخرى، وهو جوهر الخطاب الكولونياليّ وما بعده(**27**).

- **الشّروط:**

لعلّه من الضّروري لدرء الشّبهات ورفع الإلتباسات الّتي تلتصق بمفهوم المثاقفة تركيز النّظر على ضبط شروط المثاقفة وتحديد خصائصها، حتّى لا تظلّ هدفا للأوهام والمغالطات ومصدرا لردود أفعال في غير محلّها. ومن أبرز تلك الشّروط والأركان:

1– الإعتراف بواقع التنوّع الثقافيّ وبالخصوصيّات الثقافيّة وبالعلاقة العضويّة والحميمة بين الثّقافة والمجتمع، ممّا يتعذّر معه إخضاع ثقافة إلى أخرى أو دمجها فيها مادامت متحصّنة بأصالتها ومحافظة على مناعتها ومضطلعة بوظيفتها على قدم المساواة مع سائر الثّقافات.

2– المشاركة الطّوعية والتّفاعل السلميّ، إذ لا مثاقفة إلّا بمشاركة إيجابيّة من كلا الطّرفين، عمادها حريّة الإختيار وتلقائيّة المبادرة وسيادة القرار بعيدا عن التلقّي السّلبي وعن أجواء التوتّر وضغوط الهيمنة مهما كانت أشكالها وصيغها، وسواء أكانت مضمرة أو معلنة وذلك لأنّ المثاقفة لا تستقيم ولا تثمر إلّا إذا كانت نابعة من إرادة حرّة ومن تطلّعات متأصّلة في الكيان الإجتماعيّ ولم تكن بمثابة تركيبة مصطنعة ومقحمة في ذاك الكيان قد تهدّد وجوده في الآن وقد يرفضها مهما طال الزّمان.

3–على كلّ طرف من أطراف الحوار أن يكون مسلّما بأنّه لا يمتلك الحقيقة المطلقة، مؤمنا أنّ المعرفة نسبيّة لا تكتمل إلّا بالتّفاعل مع الآخرين، ولا تتقدّم إلّا بالإسهام الجمعيّ. ويعني ذلك التّسليم بنوع من التّكافئ العقليّ بين الأطراف المتحاورة، وعدم تسلّل نزعات عرقيّة أو تحيّزات ٱستعلائيّة إلى الحوار، فالحوار يصل إلى طريق مسدود ما لم يتأسّس على التّكافئ الفكريّ بين الأطراف، وينقلب إلى نقيضه عندما تختلّ العلاقة بين الأطراف، فيغدو إرسالا وحيد الإتّجاه(**28**).

4– وعي الآخر شرط أساس للوجود في العالم، ووعي الذّات شرط أساس لإنتاج الهويّة وعليه لابدّ من خطاب منتج يستثمر صراعاته المعرفيّة ويجتاز عزلته ويشكّل تفوّقه بين المتفوّقين ممّا يعزّز عضويّته داخل النّشاط الإنسانيّ، داعما فرديّته من جهة، ومحقّقا إنسانيّته من جهة أخرى.

إلّا أنّ المبادرة والتّلقائيّة والمحافظة على المناعة والتمسّك بالخصوصيّة ليست وحدها الكفيلة بإنجاز مثاقفة سويّة إذ لا بدّ من أن يتضافر معها عاملان أساسيّان:

▪ **العامل الأوّل**: التّكافؤ في الوسائل بٱعتباره الضّامن للتّوازن بين الأطراف المتداخلة، لأنّ ٱحتكار تلك الوسائل والآليّات من قبل طرف دون آخر من شأنه أن يتسبّب في ٱنخرام ذلك التّوازن وأن يحدث خللا في عمليّة المثاقفة ويفتح الباب على مصراعيه للتسلّط والهيمنة. فالتحكّم في الوسائل تحكّم في الغايات وخنق للمبادرة وكسر للتّلقائية وتهديد للمناعة والخصوصيّة.

▪ **العامل الثّاني**: لا تستوي المثاقفة بدونه فيتمثّل في الوعي العقلانيّ ويقظة الضّمير إذ بهما يتمّ التّفاعل الخلّاق وٱتّقاء الإنخداع والإنزلاق وبهما يتسنّى ٱنتقاء الأصلح والأفضل والأسمى، وفق معايير الخير والحقّ والجمال وطبق الإحساس بالمسؤوليّة إزّاء الإنسان حيثما كان. وأمّا في غياب ذلك الوعي فيتعذّر الحديث عن مثاقفة حقيقيّة ويضحي من السّهل الإرتماء في متاهات التّقليد الأعمى والإنسياق وراء إرادة الآخر والخضوع لمشيئته(**29**).

وبالتّالي، تتعيّن المثاقفة نظريّاً بحوار ثقافة محدّدة مع ثقافات مغايرة لها، بحثاً عن عقل ثقافيّ جماعيّ، يرى في المشاركة العادلة مبدأ، ويسعى إلى خير إنسانيّ مشترك.

▪ **المجالات:**

يغدو معنى المثاقفة أكثر وضوحًا، حين نتأمّل صيغة "المفاعلة" القائمة فيها، الّتي تعني تبادل المهارة النّبيلة ٱلتماسًا لما هو أرقى وأكثر ٱستقامة. كأنّ المثاقفة أثر للتّعامل الأخلاقيّ مع الثّقافات المختلفة في مجالات عدّة، قبل أن تكون لقاء بين ثقافات تتميّز من بعضها(**30**).أمّا المجالات الّتي تشملها المثاقفة، فهي تشمل مجالات متعدّدة وحسّاسة في حياة مختلف الحضارات وهي مجالات يمكن إجمالها في أربعة ميادين أساسيّة:

▪ **أوّلها: عالم الأفكار والتّصورات وما يجري فيه من تبادل للعلوم والمعارف:** لقد لعبت المثاقفة في هذا المجال دورا أساسيّا في تمكين كلّ المجتمعات من الإستفادة من نتاج العقل البشريّ حيثما كان وتوظيفه في سبيل تنمية أوضاعها الحضاريّة، ولولا ذلك لبقيت تلك المعارف حكرا على مجتمع دون آخر، ولما تواصل بقاؤها ونموّها عبر الزمن. فقد مثّلت المثاقفة في هذا المجال صلة الوصل الّتي بدونها ما كان للإرث الحضاريّ الإنسانيّ أن ينمو ويستمر بحكم التّراكم وبفضل الجهد المشترك(**31**).

▪ **ثانيها: مجال التّواصل اللّغوي:** إذ أثرت المثاقفة في اللّغات والألسن وكانت ولا تزال سببا في نموّها وتطوّرها وإغنائها بالمصطلحات والمفاهيم الجديدة، سواء بصورة مباشرة عن طريق الإقتراض اللّغوي نتيجة المعاشرة والمخالطة أو عن طريق ترجمة الآثار المكتوبة من لغة إلى أخرى أو بفضل حركة التّبادل التّجاري وما ينتقل خلالها من رصيد لغويّ عبر ما تحمله منتجاتها من تسميات ومن تعبير عن الخصائص والمواصفات. وبفضل هذه المثاقفة أصبحت اللّغات أقدر على البقاء وعلى مواكبة العصر ومسايرة النّمو الحضاريّ. ولا جدال في أنّ كلّ لغة هي مرآة لأوضاع مجتمعها وعنوان لتحضره ودليل على نصيبه من الرقيّ والتمدّن(**32**).

▪ **ثالثها: مجال الإبداع في الفنون والمهارات والخبرات:** إذ لكلّ مجتمع تجاربه ومكتسباته في هذا المجال، لكنّ المجتمعات ليست على مستوى واحد من نضج تلك التّجارب وجودة تلك المكتسبات، ولذلك كانت المثاقفة بينها كفيلة بإفراز النّتاج الأرقى والأنجع والأكثر طرافة وتميّزا، وبدفع المجتمعات إلى التّنافس في مزيد تحسينه وتجويده وٱستنباط المناهج والآليّات والوسائل والمعدّات للبلوغ به إلى الأرقى والأجود وإلى ما من شأنه ضمان المزيد من الرّفاه للإنسانيّة وتحقيق السّعادة للبشر في هذا الكون.

▪ **رابعها: مجال التّقاليد والعادات والأخلاق والسلوكيّات:** إذ هو مجال أيضا للتأثّر والتّأثير بين المجتمعات بفعل المثاقفة بينها، ويبدو ذلك واضحا فيما ٱقتبسته تلك المجتمعات من بعضها بعضا سواء

على صعيد الغذاء والملبس والسّلوك اليوميّ أو على صعيد طقوس الأفراح والأتراح. ويبدو أنّ ذلك الإقتباس قد كان في الغالب مستندا إلى ٱعتبارين، هما:

أ: إعتبار المصلحة والإستحسان.

ب: إعتبار الذّوق والمعطى الجمالي والبحث عن الطّرافة والجدّة، وهي نزعات منغرسة ومتأصّلة في النّفس الإنسانيّة لأنّها تجد فيها قوام حياتها وسعادتها(**33**).

تلك أهمّ مجالات المثاقفة بين الحضارات وهي تمثّل كما هو واضح نسغ الحضارة وصميمها ممّا يدلّ على الوظيفة المركزيّة الّتي نهضت بها عمليّة المثاقفة في التّقريب بين الحضارات وإحداث التّفاعل بينها والعمل على تنميتها وتطويرها إذ أمكن لكلّ المجتمعات بفضلها أن تستفيد من نتاج العبقريّة الإنسانيّة وأن تشارك فيه وأن يعمّ خيره الجميع كما أمكن أيضا لتلك المجتمعات أن تضع الأساس لحضارة كونية هي ثمرة الجهد المشترك لكل الشعوب والحضارات.

▪ **الأبعاد:**

أمّا أبعاد المثاقفة، كما يدلّل عليها الموروث الإسلاميّ الأصيل فهي أربعة، نوجزها كما يلي:

▪ **البعد الأوّل**: يتمثّل في الوعي بالهويّة الثقافيّة (الذّاتية) والإطمئنان إليها.

▪ **البعد الثّاني**: يتمثّل في الإعتراف بهويّة الآخر المستقلّة، إذ لا يستوي ٱستقلال الهويّة الثّقافية الذّاتيّة إلّا بالإعتراف بهويّات مغايرة مستقلّة بذاتها.

▪ **البعد الثّالث**: وهو البعد الجوهريّ، ويتجلّى في تصوّر المثاقفة وممارستها، الّذي يضع ثقافة في مواجهة ثقافة، أو جملة من التصوّرات والمعتقدات والرّؤى في حوار مع تصوّرات ورؤى مغايرة، دون توسّل عناصر خارجة عن الثّقافة، ودون ٱلتماس أدوات غير ثقافيّة تنصر ثقافة وتحطّم أخرى.

▪ **البعد الرّابع**: هو الّذي يتيح للهويّة أن تحاور "الآخر" بٱستقلال كبير واثقة بذاتها، دون أن تزوّر ما تقرأ أو تزوّر ذاتها، ودون أن تقع بما سيدعي، لاحقًا، ب"التبعيّة الثقافيّة". وبسبب ثقة بالذّات أكيدة، وإيمان بأنّ الحوار مع موضوع خارجي يغيّر الموضوع، وقد يغير المحاور أحيانًا(**34**).

ولكن هناك من المثقّفين الّذين ٱبتعدوا بتصوّرهم للمثاقفة عن هذه الأبعاد ووقعوا في "فتنة المنتصر"، الّتي تجعل "المهزوم" يقلّد من ٱنتصر عليه، معتقدًا أنّ حقيقة المثاقفة هي حقيقة الإنتصار، وقد أغفل الدّكتور طه حسين في هذا الشّأن أمرين ٱثنين:

▪ **أوّلهما**: أنّ الحضارة الغربيّة نشرت ثقافتها غالبًا متوسّلة الإملاء والإجتثاث في آن. كأن تملي لغتها ومعاييرها الثّقافية على الشّعوب الأخرى، وأن تسعى إلى ٱجتثاث الجذور التاريخيّة لثقافات هذه الشّعوب. ودليل ذلك "فَرْنَسَة" الجزائر إبّان الإحتلال الفرنسيّ.

▪ **ثانيهما**: يرتبط بشروط التلقّي والإستجابة، فلا تستطيع ثقافة معيّنة أن تتفاعل مع ثقافة أخرى إلّا إذا تفاعلت معها، دون عسف أو إكراه، وعثرت لديها على ما تحتاجه وتقتنع به(**35**).

ثانيا: التّرجمة وفعل المثاقفة:

تعرّف المعاجم اللغويّة التّرجمة على أنّها نقل الكلام من لغة إلى أخرى، أو تفسيره بلسان آخر. وفي المعاجم العلميّة تعرَّف على أنّها عمليّة نقل، بحيث لا تتغيّر محاور المنقول ولا يتغيّر جوهره لا ٱتّجاها ولا قدرا، ولا شكلا ولا فحوى. وتنطوي عمليّة التّرجمة على نقل يشمل الطّبيعة الإجتماعيّة والخلفيّة الثقافيّة والتقنيّة والبيئيّة والمناخيّة، إضافة إلى المفهوم، أو المفاهيم اللغويّة، دون أن يلحقها تحريف أو تشويه(**36**).

كما تعرّف التّرجمة على أنّها وسيلة لتقريب نظامين لغويّين وهي تختلف بٱختلاف النصّ الّذي تتناوله، حيث يقول "كاتفورد CATFORD" إنّ:

"Translation is an operation performed on languages: a process of substituting a text in one language for a text in another"(37).

"التّرجمة هي عمليّة تتمّ على اللّغات، يتمّ من خلالها إبدال نصّ ما في لغة ما بنصّ في لغة أخرى". (التّرجمة لنا).

والتّرجمة لا تقتصر على كونها عمليّة تقرّب اللّغات، بل هي كذلك فعل ثقافيّ متطوّر ينتج عنه فعل مثاقفة طويلة الأمد على صعيد الأفراد والجماعات، ويظلّ هذا الفعل الثّقافيّ يوسّع دائرة المثاقفة في بيئته، حيث إنّ غايته من وراء ذلك ٱستيعاب أكبر قدر ممكن من المعارف الإنسانيّة، وٱكتساب خبرات الآخرين وجعلها سلاحا له في التطوّر والإرتقاء والمنافسة ثمّ العطاء الحضاريّ الثريّ، كما أنّ التّرجمة هي المفتاح الّذي تتفادى به الأمم الإنغلاق الفكريّ من جهة، وتتخلّص من خلاله من التبعيّة المطلقة المفضية إلى الذّوبان في الآخر من جهة أخرى.

ولأنّ الإنسان ٱجتماعيّ بطبعه، فقد كان يتوق منذ القدم إلى المثاقفة والتّواصل مع غيره، وقد ٱختار لتحقيق ذلك التّرجمة، وليس غريبا القول بأنّ عمر التّرجمةلا يقلّ كثيرا عن عمر الإنسانيّة، فقد ٱستغلّها الإنسان لنقل تراثه العلميّ والحضاريّ وتطويره، حتّى وصلت خلاصة تجاربه العلميّة والحضاريّة إلى عصرنا الحاضر، ولم ينشأ فكر في العالم ولم يتطوّر، ولم يرتق إلى المصاف الإنسانيّة بعيدا عن التّرجمة. حيث كانت التّرجمة أبرز وسيط يرضي نهم الإنسان العلميّ ويشبع فضوله المعرفيّ. فتوارثتها الحضارات الإنسانية المتعاقبة، وأسندت لها دورا معتبرا في حركتها الحضاريّة لتسهم في صياغة منظومتها المعرفيّة، وتطوير ثقافتها الذاتيّة، ومدّ جسور الحوار والمثاقفة مع غيرها من الشّعوب، وفتح مجالات التّفاعل مع الثّقافات المختلفة،

فكانت بذلك القناة الفعّالة الّتي تدفّقت منها المعارف الإنسانيّة لتنتقل بين بني البشر وتتراكم وتستفيد منها الإنسانيّة جمعاء(38). ويتجلّى أكثر هذا الدّور الفعّال الّذي تلعبه التّرجمة في تفعيل عمليّة المثاقفة في عصرنا الحاضر حيث أصبحت فيه التّرجمة ممارسة يوميّة في حياة الأمم لا يمكن الإستغناء عنها.

تعتبر التّرجمة صانعة لفعل المثاقفة لأنّها تعبّر عن أبعاد حضاريّة قابلة للتّعميم والإنتشار، عبر تفاعل الثّقافات في إطار من العلاقات المبنيّة على التّبادل الثّقافي الحرّ، والإبداع بين مختلف الشّعوب والقوميّات. وهي حوار ضمنيّ بين تجارب الشّعوب الثقافيّة عبر الكلمة الفاعلة. وبقدر ما تبتعد عن الإستعلاء الثّقافي، بقدر ما تنجح في نشر ثقافة الإنفتاح والتّواصل الحرّ، وينغرس تأثيرها الإيجابيّ عميقا في وجدان المتلقّي لتصبح جزء من تراثه الثّقافي. وهي بالمدلول الثقافيّ والحضاريّ للمفهوم، ليست مجرّد نقل كلمة أو فكرة من لغة إلى أخرى، بل هي، في الدّرجة الأولى، فعل ثقافة حيّة قادرة على تحويل موارد المجتمع إلى قوى محرّكة للطّاقات الإبداعيّة فيه، ولديها القدرة على تحويل الثّقافة إلى فعل حضاريّ، وديناميّة قويّة لتغيير المجتمع، بعد أن أصبح العالم كلّه مساحة ثقافيّة واحدة في عصر العولمة، تعيش نوعا من التّفاعل اليوميّ والمباشر بين مختلف أشكال الثّقافات واللّغات والشّعوب(39).

وقد أثبتت التّرجمة دورها المحوريّ في حفظ التّراث العالميّ لأنّها عامل إنقاذ للثّقافة من الغرق والحرق والإتلاف والضّياع والتّهميش والإقصاء من خلال إيداعها بنوك المعرفة الإنسانيّة والتّاريخ الثقافيّ(40)، على الرّغم من كثرة الحروب والنّزاعات، والعوامل الطبيعيّة المدمّرة الّتي عرفتها الإنسانيّة، لذلك ٱعتبرت حركتها بمثابة فعل حواريّ دائم بين القوى البشريّة ذات الثّقافات المتنوّعة القادرة على التّفاعل الإيجابيّ، من موقع حوار الأنداد بين ثقافات حيَّة.

ومن هنا عدّت التّرجمة أرقى مجالات المثاقفة، فمن خلال ترجمة ثقافة الآخر تنساب أفكاره ومعتقداته وتجاربه بسهولة ويسر، كما أنّ التّرجمة من أوضح الصّور والأمثلة على التّواصل الثقافيّ مع الآخر، سواء كان هذا الآخر ثقافة منافسة أو مغايرة أو معادية(41). وهذا التّواصل الثّقافيّ تحكمه شروط حيث إنّ التّرجمة "**ليست تنكّرا للموروث من الثّقافة بل هي إغناء له وليست إنسلاخا من الأصالة بل هي تأصيل الجديد. إنّ مثقّفا لا يعيش عصره ولا يؤمن بالتّعاون والتّواصل بين البشر ولا يتمتّع بفكر منفتح خلّاق لا يستطيع أن يكون مترجما بل لا يقدر أن يكون قارئا مستفيدا**"(42). فالتّرجمة فعل ثقافيّ يعبّر عن مدى وعي النّخب الّتي تقود هذا الفعل لأهمّيّته في تطوير المجتمع ودفعه نحو الأمام، فالتنوّع الثقافيّ والمعرفيّ في الكتب المترجمة يؤدّي بالضّرورة إلى التعرّف على الآخر وٱختزال تجربته في فترة زمنيّة وجيزة، وبالتّالي إلى إزالة كلّ ما هو غير واقعي عن هذا الآخر وتكوين صورة تكاد تكون واقعيّة بعيدة كلّ البعد عن الصّورة النمطيّة لهذا الآخر(43)، وذلك ما دامت معرفة الآخر تقود تدريجيّا إلى معرفة الذّات عن طريق "المقارنة" و"التّواصل"، كما تغني هذه التّرجمات اللّغات وتجعلها "حيّة" على الدّوام، وتوفّر

الأرضيّة للبحث والإبداع، ليقف عليها أهل البحث العلميّ والإبداع، قبل الشّروع في أبحاثهم، أو بناء نظريّاتهم، أو نشر إبداعاتهم...(44). وفي هذا الشّأن يقول ميخائيل نعيمة: **"الفقير يستعطي إذا لم يكن له من كدٍّ يمينه ما يسدّ به عوزه. والعطشان إذا جفّ ماء بئره يلجأ إلى بئر جاره ليروي ظمأه. ونحن فقراء وإذا كنّا نتبجّح الغنى والوفرة. فلماذا لا نسدّ حاجاتنا من وفرة سوانا؟"، وختم تساؤله بالقول: "فلنترجم"(45).**

ولأنّ التّرجمة تحمل فكرة التّقارب بين الشّعوب، فإنّنا لا نستطيع أن نترجم ونحن نسبح ضدّ التيّار الحديث من العلوم والفنون؛ فهي اعتراف بالتعدديّة، ومن ثمّ فإنّها مجال حيويّ لتحقيق الهويّة المنفتحة على الآخرين، وهي بنت الحضارة، ورفيقتها الدّائمة عبر الزّمان والمكان، وهي موجودة؛ لأنّ البشر يتكلّمون لغات مختلفة، وتتعاظم أهميّتها نتيجة للإنفجار المعرفيّ والتقدّم التكنولوجيّ، فهي تمثّل عمليّة "محو أميّة" في سياق الثّورة المعلوماتيّة، الّتي أصبحت فيها أحاديّة اللّغة مرادفة للأميّة(46). وبهذا تكون التّرجمة ضرورة إنسانيّة، وأداة هامّة لنقل حصيلة العلوم والمعارف والآداب، وعاملا مؤثّرا جدّا من عوامل النّهضة، وذلك ما يثبته تاريخ الحضارات الغابرة والحاضرة أيضا(47).

والتّرجمة، كما أنّها عمل نبيل وغيريّ ويحتاج إلى تملّك اللّغة والثّقافة، فهي أيضا عمل في غاية الأهميّة لأنّها تشكّل ضمانة لاستمرار تفاعل الحضارات بدلا من تصادمها. وإذا ما فكّر المرء ولو لبرهة وجيزة بما قد يكلّفه التوتّر والتّصادم فإنّه يعلم علم اليقين أنّ التّرجمة يمكن أن توصل البشريّة إلى برّ الأمان بسعر زهيد إذا ما قورن بكلفة نتائج الحوادث الكوارثيّة الّتي يسبّبها غياب التّفاهم والحوار الثّقافيّ(48). فإذا كانت بعض التّنظيرات الفلسفيّة الجديدة قد أدّت دور المبَشّر لانطلاق "عولمة الهيمنة"، وأسهمت إلى حدّ بعيد في إعطائها السّند الفكريّ والمبرّر الموضوعيّ، فإنّ التّرجمة، على النّقيض من ذلك، أدّت ولا تزال تؤدّي أدوارا طلائعيّة في حماية التنوّع والتعدّد الثقافيّ، وتدعيم فلسفة "المثاقفة" والتّقارب والتّعايش بين الشّعوب والحضارات(49). كما كانت ولازالت وستظلّ تمثّل جسرا عظيما يربط بين جموع البشريّة في مختلف الأصقاع ومن مختلف الأزمنة ممّا يتيح فرصة أكبر للتّلاقح والتّزاوج الّذي يثري التّجربة الإنسانيّة بأشكال مختلفة وليس أدلّ على عظم أهميّة التّرجمة من أنّها –خاصّة في عصرنا- أصبحت مهنة يحترفها دارسون ومتخصّصون فيها تخصّصا كاملا، كما تتجلّى أهميّة التّرجمة أيضا من خلال الدّور العالميّ الّذي تقوم به في الوساطة بين الثّقافات المختلفة.

والتّرجمة هي الأداة الفاعلة في تكوين الحضارة العالميّة المشتركة للجنس البشري، فمن خلال التّرجمة يمكن للأفكار أن تتلاقى وتتلاقح، وتتوالد عنها أفكار جديدة تدعم بنية الحضارة الإنسانيّة، وكلّما تزايد مستوى النّشاط التّرجمي، كلّما أمكن للحضارة الإنسانيّة أن تزدهر وتتطوّر وكلّما أمكن للأمم توصيل رسالتها والتّعبير عن ذاتها. إذ أنّ كلّ تخلّف أو تقاعس على صعيد التّرجمة يعني بالضّرورة تأخّرا أو تقاعسا

على صعيد التّواصل الثّقافيّ، يؤدّي بالضّرورة إلى حرمان المجتمع المتقاعس من فرص الإطّلاع على الثّقافات الأخرى والإستفادة منها في إغناء ثقافته وتطويرها، وتكون النّتيجة الحتميّة لذلك تأخّر الثّقافة الّتي يتقاعس أهلها في مضمار التّرجمة، وتخلّفهم عن ركب الثّقافة العالميّ. وما من شكّ في أنّ التّرجمة هي الوسيلة الأولى لمواكبة ذلك التطوّر. ومن هنا تتأتّى أهميّة هذه المسألة وخطورتها، ولا نغالي عندما نقول إنّ التّرجمة مسألة مصيريّة لكلّ ثقافة، وبالتّالي لكلّ مجتمع، وعلى التّعامل مع هذه المسألة يتوقّف مستقبل ثقافتنا ومجتمعنا إلى حدّ كبير(**50**).

ولأنّ مستقبل الثّقافات والمجتمعات مرهون بالتّرجمة، نجدها قد ٱستمرّت حتّى أصبحت ظاهرة إنسانيّة تثبت على مرّ الأزمان أنّ الكائن الحيّ السويّ لابدّ له أن ينفتح على الآخرين، ويتثاقف معهم عبر جسور الإتّصال لتحقيق التّأثير والتأثّر والأخذ والعطاء. ولا تستطيع أيّة أمّة أن تنغلق على نفسها وتتقوقع داخل ذاتها وتدّعي القدرة على الإستمرار، لأنّ هذا الإنغلاق الحضاريّ سيقودها إلى الموت المحتم، فكان المفروض عليها أن تمدّ جسور الحوار والتّبادل مع غيرها من الأمم حتّى يتم التّلاقح والإخصاب، وهذا لا يكون إلّا بالتّرجمة، فالإنغلاق والعزلة الحضاريّين لابدّ أن يؤدّيا إلى الذّبول والإضمحلال الحضاريّين، لأنّ الحضارات كانت دائما تغتني بفضل الإتّصال والتّبادل مع حضارات أخرى، ومن ثمّ كانت دائما منخرطة في عمليّة ديناميّة قوامها التّغيير وإعادة تجديد "الذّات"، والحضارات بطبيعتها جامعة بين الثّقافات، فالحوار الثقافيّ المنكفئ على الذّات، أو الأصوليّة الثقافيّة، الّتي تحنّط "الآخر" بٱعتباره غريبا، وهو بذلك عدوّ محتمل، تتعارض مع هذه السّمة المكوّنة للحضارة البشريّة والتنظيم الاجتماعي(**51**). والتّرجمة هي دون أدنى شكّ الوسيلة الحاسمة في تعميق علاقات التّواصل مع العالم المتقدّم، وفي توسيع دوائر الحوار الّتي تؤدّي إلى ٱمتلاك مفردات العصر ولغاته، وتجسير الهوة الفاصلة بين المتقدّم والمتخلّف، والسّبيل إلى فتح آفاق جديدة من وعود المستقبل الّذي لا حدّ لإمكاناته(**52**).

وبالإضافة إلى أنّ الترجمة تبني العديد من الجسور بين الثّقافات المختلفة المتقدّمة منها والمتخلّفة، وتوفّر قنوات عديدة للتّواصل والحوار والتّفاعل، والإعتراف بالفوارق والسّمات المميّزة لدى الآخر وتعمل على تنمية قبولنا لهذا الآخر، وتزيد معرفتنا بذاتنا وهو ما يعزّز تمسّكنا بهويتنا، فهي تستوجب الإحتكاك بالآخر المختلف لنجاحها في خلق فعل المثاقفة المنوط بها بين الشّعوب، لأنّ الذّات لا تتفاعل مع الذّات نفسها بسبب التّطابق، بل ولا يكفي الإنتقال من الذّات إلى الآخر عبر ٱختيار ما عند هذا الآخر ممّا هو على صورتنا أو واقعنا. ومنه يشترط أن يستند هذا الميل إلى المختلف أوّلًا وأخيرًا إلى مخزون ذاتيّ وتاريخيّ راسخ، لكي لا يتمّ أيّ تفاعل عبر فراغ، فبقدر ما يُحدث الإحتكاك بالآخر عبر التّرجمة من تغيير في تكوين الذّات، بقدر ما يتمّ إحداث تغيير في نصّ الآخر، فالنصّ الآخر المترجم يتمّ التّفاعل به وتتجدّد هويّته وينتقل من "سلطة إلى سلطة"، ومن جغرافية إلى جغرافية، ومن مجتمع إلى مجتمع، ومن أفراد إلى

أفراد، وعندها لا يعود المختلف مختلفًا، تزول غربته، وعزلته، ليكتسب ألفة وحميميّة، هما ألفة الإبداع وإعادة الصّياغة، وإعادة التّكوين(53). كما قد تضمن التّرجمة الخلود للنصّ الآخر المتَرجَم بكلّ ما يتضمّنه من فكر ومعان، وهناك الكثير من النّصوص الّتي ٱختفى أصلها ولم يبق إلّا ترجماتها إلى لغات غير لغتها الأصليّة، بل إنّ هناك مؤلّفات كتبت بلغات لم تعد موجودة في عصرنا الحالي وبادت وٱندثرت، ووحدها ترجمات هذه المؤلّفات هي الّتي لا زالت باقية كما هو الحال في معظم المؤلّفات الّتي كتبت باللّغة اللّاتينية أو اللّغات القديمة الميّتة(54).

وإذا كانت التّرجمة تذكّرنا بوجود الآخر المختلف عنّا ثقافيًّا، وٱجتماعيًّا، ودينيًّا، فإنّها تذكّرنا أيضًا بوحدة الفكر الإنسانيّ الّذي يستحيل العيش على هامشه، لأنّ العزلة رديفة الموت، كما تذكّرنا التّرجمة بأنّ الآخر لا يتكلّم لغتنا، فهو إذن مختلف عنّا في ثقافته، وفي قيمه، وعلينا قبول هذا الإختلاف، لأنّ الآخر ليس هو الشّبيه وإنّما هو المختلف الّذي يقاسمنا الحياة، وهي (التّرجمة) ترفع درجة قبولنا لهذا الآخر المختلف عنّا في الوقت الّذي تسعى فيه بعض الدّوائر الغربيّة في أوروبّا وأمريكا إلى نفي الآخر وإلغائه، وطمس هويّته، وتغليب منطق القوّة في العلاقات الإنسانيّة على جميع مستوياتها.

بالتّالي، فالتّرجمة هي التّعبير اللّغوي والأدبيّ عن تباعد بين ثقافتين، وعن ٱختلاف، لا بدّ من الإعتراف به وقبوله قبولا صريحًا عبر القبول بمبدأ التّرجمة(55)، ولهذا فإنّنا اليوم أحوج ما نكون إلى التّرجمة بمفهومها الإنسانيّ، أي الّتي تمدّ جسور التّواصل بين البشر بغضّ النّظر عن الجنس والعرق والموطن، وبعيدًا عن العقليّة المركزيّة الّتي تهيمن على الفكر الغربيّ.

لذلك ينبغي أن يبدأ التّعارف والتّواصل مع الشّعوب الأخرى في مرحلة مبكّرة من الدّراسة، وأن يتابع خلال مناهج التّعليم حتّى يبلغ أوجه في دراسة للحضارات المختلفة، فمع توسيع صورة العالم في الأذهان ومدّها بأفكار الإنسانيّة جمعاء، يوضع الإنسان في درجة أرفع وأغنى وأوسع أفقًا فكلّما ٱلتقت ثقافة بأخرى تنشط التّرجمة وتقوى، وتقرّب بين ثقافات العالم وتسهم إسهامًا كبيرًا في تعزيز التّفاعل الحضاريّ الإنسانيّ العام.

- **علاقة التّرجمة بالمثاقفة:**

لعلّ خير وسيط لتدعيم التّقارب الثّقافي هو المترجم، فتغدوالترجمة أداة فعّالة لتجسير الهوة بين الثّقافات، وعنصرا معرفيّا هامّا يسهم في تنمية الفكر والمعرفة. وهذا من شأنه تفجير الأسئلة التّالية: ماعلاقة التّرجمة بالمثاقفة؟ وما هي الصّورة الّتي تبدو بهاالمثاقفة من خلالفعل التّرجمة؟

يتطلّب الحديث عن التّرجمة في عصر العولمة -عصر المثاقفة بٱمتياز- التخلّص من "وهم الأصل" والإيمان بأنّ التّرجمة **"مجال لتحقيق الهوية المنفتحة على الآخر، ولكن من منطلق الخصوصيّة الغنيّة القائمة على التّثاقف المتوازن"**(56). ناهيك عن معالجة علاقة التّرجمة بالمثاقفة من زاوية معرفيّة متوازنة وهادفة تميل إلى **"تلمّس رهانات السّلطة وموازين القوى بين اللّغات والثّقافة، وإلى الوقوف على موجّهات ثقافيّة عامّة تتحكّم في رسم العلاقة بين كلّ من "التّرجمة والثّقافة""**(57). ومن شأن التّفكير في هذه الإعتبارات أن يفضي إلى ٱستنتاجات متعدّدة بشأن علاقة التّرجمة بالمثاقفة، نلخّصها فيما يلي:

– **"ترتبط التّرجمة بالمثاقفة"** من زاوية تواصليّة، حيث تتّخذ التّرجمة شكل أداة للتّواصل الثّقافي، سواء بين ثقافتين متزامنتين أم غير متزامنتين.

– **"ترتبط التّرجمة بالمثاقفة"** من زاوية معرفيّة، فتغدو التّرجمة فعلا معرفيّا يساهم في إغناء الثّقافات بناء على جدليّة الأخذ والعطاء.

–**"ترتبط التّرجمة بالمثاقفة"** من زاوية إيديولوجيّة لأنّ التّرجمة تتحوّل إلى فعل يدعم الغزو الثّقافي، حيث يبدو واضحا الخضوع لحتميّة الثّقافة المدعّمة بسلطة القوّة الإقتصاديّة والعسكريّة والتكنولوجيّة.

–**"ترتبط التّرجمة بالمثاقفة"** من زاوية رمزيّة، خاصّة ما تعلّق بإشكاليّة **"الهويّة"**، حيث ترقى التّرجمة إلى تدعيم التّفاعل الثّقافي عبر التّعريف بالخصوصيّات المميّزة لثقافة ما بل جعلها -أي التّرجمة- أداة قادرة على ٱستيعاب نصوص ثقافيّة في نسيجها الثّقافي الرّمزي وتحويلها إلى فعل ثقافيّ خاصّ بها.

من هنا، تبدو العلاقة بين التّرجمة والمثاقفة متّجهة صوب تشييد رؤية معرفيّة غايتها محو وإلغاء كلّ تصوّر سلبيّ يجعل المثاقفة فعلا ينبني على الإلغاء والتّفاضل، هكذا تبرز العلاقة بينهما من منطلق أنّ **"التّرجمة وسيلة لوعي الفارق بين التّثاقف والإلغاء الثقافي، في حين يعني التّثاقف الإنصات المتبادل بين الثّقافات والإعتراف بٱختلافها"**(58). لهذا تعتبر كلّ ترجمة لنصّ أدبيّ ما تدعيما للمثاقفة الأدبيّة، على ٱعتبار أنّ النصّ الأدبيّ المترجم قادر على تحقيق الإعتراف الثّقافي -عكس الإلغاء الثّقافي- بالآخر وبواقعه، ونمط تفكيره، وبيئته...وغير ذلك، مادامت الغاية الأساسيّة من المثاقفة الأدبيّة هي **"فهم الإنسان وفهم علاقته بالكون الّذي يعيش فيه، وما تتضمّنه هذه العلاقة الكبيرة من علاقات كثيرة أخرى، أهمّها علاقته ببيئته الطبيعيّة والإجتماعيّة، لأنّ الأدب مدخل إلى فهم الإنسان في مجالات حياته كلها"**(59)، وبالتّالي فالمثاقفة الأدبيّة -عبر آليّة التّرجمة- تكرّس التّفاعل القيميّ الإنساني، وتضيّق هوة الإختلافات بين الشّعوب. فمتأمّل تاريخ التّرجمة بإمكانه أن يقف على المظاهر المتنوّعة للتفاعل الثّقافي بين المجتمعات الإنسانيّة بناء على فعل التّرجمة، فمثلا يعدّ تأسيس "بيت الحكمة" 832م من لدن "المأمون" إعلانا عن مشروع فكريّ وحضاريّ خلق جسورا قويّة للتّواصل

والتّفاعل الثّقافي عبر التّرجمة، حيث تمّ الإنفتاح على الثّقافة اليونانيّة والفارسيّة والسريانيّة... وغيرها من الثّقافات.

ويؤكّد تنوّع الإنشغال بثقافة الآخرين والإقتباس منها، سواء كانت ثقافة متعلّقة بالعلوم المعرفيّة (فلك، رياضيّات، طب، فيزياء...)، أو بالعلوم الإنسانيّة (آداب، دين، فلسفة، تاريخ، فن...) أنّ علاقة التّرجمة بالمثاقفة هي علاقة جدليّة، خاصّة حينما يتعلّق الأمر بنصوص يتعذّر مرورها من ثقافة إلى أخرى، لأنّها تتطلّب تحويلا لغويّا من "الثّقافة المنتجة" إلى "الثّقافة المستقبلة".

- **وسائط المثاقفة بالتّرجمة:**

تبلغ المثاقفة أنجع درجاتها حينما تتّخذ شكل التّواصل الثّقافي بين فعلين ثقافيّين متعاصرين، ومثال ذلك ما يحدث الآن بين الشّعوب الأوروبيّة، إذ ما يكاد يصدر كتاب في إحدى لغاتها حتّى تسارع الشّعوب الأخرى إلى ترجمته إلى لغاتها القوميّة، هذا عدا أنّ الفنون، ولاسيّما تلك الّتي لا تعتمد لغة الكلام مثل الرّسم والموسيقى، فإنّها تنتقل من بلد إلى آخر دون جواز سفر. إذن، هناك وسائط مختلفة تجري بها المثاقفة، قد تسهّل ٱنتقالها وقد تعيقه، فمن الوسائط ما يساعد على التّفاعل الثّقافي مثل لغة الخطّ واللّون في الرّسم، ولغة الصّوت والإيقاع في الموسيقى، ومنها ما يشكّل عائقا للتّفاعل الثّقافي مثل لغة الكلام المختلفة بين الأمم، في حال ما لم تقم التّرجمة بتذليل هذه العقبة.

ومن هنا، فإنّ "**الثّقافة والتّرجمة فعلان ثقافيّان مرتبطان ببعضهما غاية وقيمة، ممّا ينفي عنهما صفتا العشوائيّة والإعتباطيّة، فالكاتب ٱختار موضوعه وحدوده وطريقة معالجته ٱختيارا واعيا، والمترجم ٱختار كلّ هذا عن وعي أيضا، وذلك بٱختياره ما كتب الكاتب لترجمته**"(60). ومن هنا كان للكاتب والمترجم كونهما وسيطان ثقافيّان، تأثير كبير في المثاقفة بين أمّتيهما.

هناك إذن جانب كبير من المثاقفةيحتاج إلى الكتابة والتّرجمة للإنتقال بين الأمم، هذا الجانب يحتاج إلى فحص دقيق سواء بالنّسبة إلى الكتابة أو التّرجمة، فالكاتب لا يكتب شيئا إلّا إذا كانت له غاية، وكان لهذه الغاية قيمة لديه، هذه الغاية الّتي يضعها المترجم في ٱعتباره، حينما يختار أثرا من الآثار،ومجالات ووسائط المثاقفة بالتّرجمة عديدة يمكن حصرها في ثلاثة مجالات هي: الأدب والفكر والعلم.

ا- **المثاقفة الأدبيّة**:يتطلّب فهم "**المثاقفة الأدبية**" فهم حقيقة الأدب، لأنّ الغاية من الأدب هي فهم الإنسان وفهم علاقته بالكون الّذي يعيش فيه، وما تتضمّنه هذه العلاقة الكبيرة من علاقات كثيرة أخرى، أهمّها علاقته ببيئته الطبيعيّة والإجتماعيّة. ويمكننا القول إنّ الأدب مدخل إلى فهم الإنسان، ومن هنا كانت مسؤوليّة الكاتب عمّا يكتب، ومسؤوليّة المترجم عمّا يترجم وعن ٱختيار الأثر الّذي يستحقّ التّرجمة، ومختصر القول أنّ الطّابع العام "**للمثاقفة الأدبية**" هو الطّابع الإنساني.

ب– المثاقفة الفكريّة: قد يكون الأدب دعائيّا مضلّلا، وهذا يوجب على المترجم، وهو يختار الأثر الّذي يترجمه، أن يتحلّى بفكر نقديّ، وتلكم هي "**المثاقفة الفكريّة**" في إحدى صورها، من هنا تبدو ضرورة الفكر بوصفه رقيبا على الأدب، سواء من حيث الكتابة أو من حيث التّرجمة. كما أنّ "**المثاقفة الفكريّة**" في الواقع متمّمة للمثاقفتين الأدبيّة والعلميّة على حدّ سواء، وموجّهة لهما.

ج– المثاقفة العلميّة: إذا كانت "**المثاقفة الأدبيّة**" تضعنا في حضرة الإنسانية وقيمها وحريّتها، فإنّ "**المثاقفة العلميّة**" تمنحنا الوسائل النظريّة والعلميّة للدّفاع عن الإنسانيّة وقيمها وحريّتها، ومن هنا جاءت قيمتها بين أنواع المثاقفة المختلفة، وعلى هذه "**المثاقفة**" يجب أن ينصبّ اهتمامنا في المرحلة الراهنة(**61**).

- **قنوات إسهام التّرجمة في فعل المثاقفة:**

التّرجمة إذن قناة هامّة لتنشيط التّواصل الثقافيّ بين الشّعوب والأمم،"**لأنّه من خلالها يتعرّف النّاس في هذا البلد إلى عادات النّاس في ذلك البلد، إلى أعرافهم، وتقاليدهم، وأفكارهم، وآدابهم، وسلوكهم، وتاريخهم، بل حتى تضاريسهم، وجغرافيّتهم**"(**62**). من هنا تبدو أهميّة التّرجمة قويّة في التّعريف بالآخر، مثل "**التّرجمة الأدبيّة**"، الّتي تمكّن من معرفة الكثير عن مجتمع "**نصّ الإنطلاق**". فترجمة أعمال "فيودور ميخيالوفيتش دوستويفسكي (Fiodor) Fedor Mikhaïlovitch DOSTOÏEVSKI" تعرف بالشّعب الرّوسي، وترجمة أعمال "شارل ديكنز Charles DICKENS"تعرّف بالإنجليز، وترجمة أعمال "نجيب محفوظ" من شأنها تقديم صورة عن مصر عامّة، والقاهرة خاصّة، مثلما هو الشّأن مع أعمال "محمد شكري" الّتي تعرّف الآخر على المجتمع المغربيّ عامّة، والطّنجاوي خاصّة.

إنّ التّرجمة تغذّي "حوار الحضارات"، الّذي قد يولّد "صداما" فكريّا ولودا ومنتجا، والسّؤال هنا كيف يتمّ هذا الحوار الثّقافي أو الحضاري؟ أو بالأحرى كيف "تسهم التّرجمة في المثاقفة"؟

معلوم أنّ انخراط التّرجمة في تفعيل الحوار الثّقافي ليس وليد التّاريخ المعاصر فقط، بل إنّه فعل واكب سيرورات الأمم والحضارات منذ عصور قديمة، وإن كان يتّخذ مفاهيم كثيرة مخالفة مثل: الأخذ، التأثّر، المحاكاة...وغيرها، ويعدّ مفهوم "**المقابسة**" الّذي نحته "**أبو حيان التّوحيدي**" أبلغ تعبير عن التّفاعل الثّقافي.

غير أنّ التحوّلات الحضاريّة الكبرى في الوقت الرّاهن فرضت فعل المثاقفة أكثر من أيّ وقت مضى، كما فرض فعل التّرجمة بوصفه نشاطا معرفيّا مواكبا، لتغدو بذلك التّرجمة أداة مغذّية للدّينامية الحواريّة بين شعوب العالم، فتحوّلت في ظلّ سياقات العولمة، إلى "**تعبير مكثّف عن المجتمع في تحوّلاته الإنسانيّة**

الشّاملة، على المستويات كافّة"(63). من هذا المنطلق، تتحوّل التّرجمة إلى وسيط ثقافيّ بين ثقافتين مختلفتين، هدفه تطوير وإغناء المرجعيّة الثقافيّة "**للغة الوصول**"، دونما فقدان "**لأصالة**" الذّات المترجم لها.

لهذا، "**تسهم التّرجمة في تفعيل المثاقفة**" من زاوية المتابعة الثقافيّة والتّواصل والحوار الفكريّين، لأنّ التّرجمة هي "**الأداة الّتي يمكننا بها مواكبة الحركة الفكريّة والثقافيّة في العالم**"(64)، ممّا يجعلها قناة أساسيّة في تبلور "**فعل المثاقفة**"، الّذي يعدّ في الأصل -كما أسلفنا- "**عملية التّغيير أو التطوّر الثّقافي الّذي يطرأ حين تدخل جماعات من النّاس أو شعوب بأكملها تنتمي إلى ثقافتين مختلفتين في اّتّصال وتفاعل يترتّب عليهما حدوث تغيّرات في الأنماط الثقافيّة الأصيّلة السّائدة في الجماعات كلّها أو بعضها**"(65). تنبني المثاقفةإذن على عناصر محوريّة: الإتّصال، والتّفاعل، والتّغيير في الأنماط الثّقافية، والمواكبة الثّقافية، وتجسير الهوة بين ثقافتين مختلفتين، والمتأمّل في هذه العناصر البانية للمثاقفة بإمكانه أن يجدها هي المتحكّمة أيضا في فعل التّرجمة. لهذا، فالتّرجمة تسهم في تنمية المثاقفة عبر عدّة قنوات تقنيّة وإبستيمولوجيّة يمكننا تحديد بعضها كما يلي:

- قناة التّواصل:

إذا كان التّواصل من المرتكزات الأساسيّة لفعل المثاقفة، فإنّ التّرجمة تعزّز هذا المرتكز وتدعمه، حيث ترتقي إلى مستوى مدّ الجسور التواصليّة بين ثقافات مختلفة، لأنّ التّرجمة "**تحكمها متطلّبات المعنى، وشرائط التّبليغ وتواضعات التّواصل**"(66).

- قناة التّفاعل:

يتجاوز فعل التّفاعل، هنا البعد التّواصلي بمفهومه الإنفعالي، إلى مستواه الفعلي، أي يرتقي التّواصل الثّقافي إلى درجة الإغتناء المتبادل، وبتعبير آخر يغدو التّفاعل الثّقافي عبر التّرجمة أداة لخلق علاقة التّأثير والتأثّر بين ثقافة لسان الإنطلاق، وثقافة لسان الوصول.

- قناة الحوار المجتمعي:

ونقصد به اّرتقاء التّرجمة إلى مستوى تنمية الحوار الثّقافي بين "**الأنا**" و"**الآخر**"، مهما كانت الوضعيّة الحضاريّة للطّرفين معا، لكنّ ذلك مرهون بتخلّي المترجم عن النّزعة الإستعلائيّة، إذا كان ينتمي إلى حضارة قويّة، وذلك ما يؤهّل التّرجمة للمساهمة في الحوار المجتمعي، بل قد "**تجسّر الهوة القائمة بين الشّعوب الأرفع حضارة والشّعوب الأدنى حضارة**"(67). وفعل التّجسير هذا هو ما تحاول المثاقفة إنتاجه، حتّى لا تتمّ إعادة إنتاج "**غزو ثقافي**"بدعوى الحوار الحضاريّ والثّقافي في واقع العولمة الّذي أصبحت فيه "**المثاقفة ضرورة حيوية لمختلف الشعوب و الحضارات**"(68).

- **قناة الهويّة والإختلاف:**

تكتسي التّرجمة، هنا بعدا رمزيّا، لأنّها تتجاوز التّفاعل المتبادل إلى الحرص على عدم فقدان "**الأصالة**" و"**الهويّة**"، ناهيك عن تطوير "**الذّات**" بناء على معطيات "**الآخر**"، على الرّغم من "**الإختلافات**" البيّنة بينهما، وهنا "**تتوازى التّرجمة مع المثاقفة**" الّتي "**تعدّ رافدا مهما تسعى كلّ أمّة من خلاله إلى معرفة الآخر وٱستثمار ما لديه من قيم ومعطيات إنسانيّة وحضاريّة، وإلى تنمية كيانها الثّقافي بشكل خلّاق وغير مضرّ بمقوّمات الهويّة القوميّة وثوابتها**"(**69**).

- **قناة التّنمية الأخلاقيّة:**

إنّ المقصود بهذه القناة هو النّظر إلى التّرجمة بٱعتبارها عنصرا معرفيّا ينشط التّفاعل الثّقافي مع الآخر، لكن دونما رغبة في "التّمركز على الذّات" "L'ethnocentrisme"، بتعبير "**أنطوان برمان** Antoine BERMAN"، حيث "**يعمد المترجم إلى ردّ كلّ شيء إلى ثقافته ومعاييره وقيمه، معتبرا أنّ كلّ ما يقع خارجها، أي كلّ ما هو أجنبيّ، هو عنصر سلبيّ لا يصلح، في أحسن الأحوال، إلّا لأن يدمج ويكيّف لإغناء الثّقافة المتلقّية**"(**70**). لذلك يجب على التّرجمة أن تجنح إلى تدعيم التّواصل الأخلاقي مع الآخر مع ثقافته، ممّا يسهم في تجاوز التعصّب والعصبيّة، ونزعة التّمركز والعداوة، ناهيك عن تكريس الإنفتاح على الآخر وٱحترام ثقافته، ولما لا إخراجها من عزلتها. إنّ هذا يتماشى مع مفهوم "**المثاقفة**" الّتي ينظر إليها بٱعتبارها "**وسيلة فعّالة لتنمية روح الثّقة والتّسامح بين الأفراد والجماعات، فهي تزيل كثيرا من الأوهام والأمراض والمخاوف، وتساعد على خلق تواصل وتفاهم بين الشّعوب، وعلى تفعيل القواسم المشتركة بينها، ممّا يؤدّي إلى إزالة بؤر التوتّر والعداوة الّتي غالبا ما يغذّيها التقوقع والإنعزال، والجهل بالآخر والأحكام المسبقة والسلبيّة عنه**"(**71**). نفهم من هذا أنّ "**التّرجمة تسهم في تنمية المثاقفة وتغذيتها**"، ناهيك عن خلق حوار ثقافيّ مثمر، كما نفهم أنّها أصبحت ضرورة ملحّة في ظلّ عولمة الإعلام و"**حوار الحضارات**"، وبإمكانها تنمية روح الإخاء والتّعاون الإنسانيّين، وتكريس فلسفة حقوق الإنسان في بعدها الشّمولي، وذلك ٱنطلاقا من ٱحترام ثقافة الآخر، وتجاوز الأحكام المسبقة المليئة بنزعة الإحتقار والتّعالي، وكذا ٱحتقار ثقافة الآخر، والتّباهي بالأنا.

خلاصة:

خلاصة لما سبق عرضه في هذا المقال، يمكن القول إنّ المثاقفة تشمل مختلف أشكال تعامل ثقافة مع ثقافة أخرى، وقد ٱستعملت مفردة "مثاقفة" منذ بداية القرن العشرين، حيث عرّفها مجمّع البحوث في العلوم الإجتماعيّة سنة 1935م بأنّها تشمل جميع الظّواهر النّاتجة عن الإتّصال المستمرّ بين أفراد ينتمون

لثقافتين مختلفتين، وما يترتّب عن ذلك من تغيّرات في الأنماط الثّقافيّة الأصليّة عند إحداهما أو كلاهما. فهي بالتّالي ظاهرة تأثير وتأثّر الثّقافات أثناء تواصلها مع بعضها البعض، ولهذه الظّاهرة شروط تحكمها ومجالات تختصّ بها وكذا أبعاد وأهميّة ومخاطر.

أمّا عن علاقة التّرجمة بالمثاقفة، فالتّرجمة تعتبر صانعة لفعل المثاقفة وهي أرقى مجالات المثاقفة، لأنّها تعبّر عن أبعاد حضاريّة قابلة للتّعميم والإنتشار عبر تفاعل الثّقافات في إطار من العلاقات المبنيّة على التّبادل الثّقافيّ الحرّ. والتّرجمة هي التّعبير اللّغويّ والأدبيّ عن تباعد بين ثقافتين، وعن اختلاف، لابدّ من الإعتراف به وقبوله قبولا صريحا عبر القبول بمبدأ التّرجمة.

الهوامش والإحالات:

(**1**)Voir : Roger BASTIDE, « **ACCULTURATION** », Encyclopædia Universalis [en ligne], consulté le 12 janvier 2016 :

http://www.universalis.fr/encyclopedie/acculturation/

(**2**) Melville Jean HERSKOVITS, **Les Bases de l'Anthropologie Culturelle**, Paris, Maspero, 1967, p. 205.

(**3**) Roger BASTIDE, **op. cit**.

(**4**) ينظر: عبد الرزّاق دوّاي، **في الخطاب عن المثاقفة والهويّة الثّقافيّة**،مجلّة أيس، العدد الثّاني، السّداسي الأوّل، دار أخبار الصّحافة، الجزائر، 2007م، ص 12.

(**5**) Tran VAN KHÉ, **L'Acculturation dans les Traditions Musicales de l'Asie**, in : **International Review of Aesthetics and Sociology of Music**, Vol. 5, The Zagreb Institute of Musicology, 1974, p. 181.

(**6**) Georges DEVEREUX, « **Acculturation antagoniste** »,dansEthnopsychanalyse Complémentariste, Paris, Flammarion, 1972.

(**7**) إنّ جميع النظريّات قد انطلقت من الثّقافة لتعريف التّثاقف أو المثاقفة، وهي منهجيّة خاطئة كما يراها "روجيه باستيد Roger BASTIDE". إلّا أنّ البحوث الحديثة ترى أنّه من الضروريّ الإنطلاق من المثاقفة والتّثاقف لتعريف كلمة الثّقافة، باعتبار أنّ الثّقافة ليست صرفة (Pure).

(**8**)علي أومليل،**سؤال الثّقافة: الثّقافة العربيّة في عالم التحوّل**، المركز الثّقافيّ العربيّ، الدّار البيضاء، المغرب، 2005م، ص 67.

(**9**) أحمد الموصلّي ولؤي صافي، **جذور أزمة المثقّف في الوطن العربيّ**،الطّبعة الأولى،دار الفكر المعاصر، بيروت، 2002م، ص 100.

(10) ينظر: نبيل صموئيل أبادير، **حوار الثّقافات ضرورة مستقبليّة أم رفاهيّة**،الطّبعة الأولى، المكتبة الأكاديميّة، القاهرة، 2005م، ص ص 13-14.

(11) هيدغر، ليفي ستراوس، ميشيل فوكو، **موت الإنسان في الخطاب الفلسفيّ المعاصر**،ترجمة وتحقيق: عبد الرزّاق الدّاوي، الطّبعة الأولى، دار الطّليعة للطّباعة والنّشر، بيروت، لبنان، 1992م، ص 83.

(12) ينظر: فيصل درّاج، **المثاقفة بين الرّغبة والحقيقة**،موقع مجلّة التّسامح، مقالات العدد الثّاني لسنة 1423هـ/2003م:

http://www.altasamoh.net/Article.asp?Id=25

(13) كلود ليفي ستراوس، **كتاب التنوّع البشري الخلّاق**،مجموعة دراسات لعلماء في الأنثروبولوجيا، صادر عن المشروع القومي للتّرجمة، المجلس الأعلى للثّقافة، رقم 27، مصر، 1997م، ص 29.

(14) ينظر: هيدغر، ليفي ستراوس، ميشيل فوكو، **مرجع سابق**،ص 96.

(15) ينظر: **المرجع نفسه**،ص ص 93-94.

(16) ينظر: عبد الكبير الخطيبي، **في الكتابة والتّجربة**،ترجمة: محمّد برادة، الطّبعة الأولى، دار العودة، بيروت، لبنان، 1980م، ص 67.

(17)توفيق بن عامر، **المثاقفة والتّغيير**،المؤتمر السّابع عشر: ثقافة التّغيير، جامعة فيلاديلفيا، عمّان، الأردن، الثّلاثاء 2012/11/6م، ص 2:

www.philadelphia.edu.jo/arts/17th/day.../tawfiq.doc

(18) جورج طرابيشي، **شرق وغرب رجولة وأنوثة: دراسة في أزمة الجنس والحضارة في الرّواية العربيّة**، الطّبعة الرّابعة، دار الطّليعة، بيروت، 1997م، ص 10.

(19) ينظر: هيدغر، ليفي ستراوس، ميشيل فوكو، **مرجع سابق**،ص 98.

(20) ينظر: شكري عيّاد، **الأدب في عالم متغيّر**،الهيئة المصريّة العامّة للتّأليف والنّشر، القاهرة، 1971م، ص 22.

(21) ينظر: جابر عصفور، **حوار الحضارات والثّقافات**،كتاب في جريدة، العدد 101 ، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، بيروت، 3 كانون الثّاني (يناير) 2007م، ص 5.

(22) ينظر: رواء نعاس محمّد، **المثاقفة والمثاقفة النقديّة (في الفكر النّقدي العربي)**،مجلّة القادسيّة في الآداب والعلوم التّربويّة، العددان (3-4)، المجلّد 7، عدن، اليمن، 2008م، ص 172.

(23) ينظر: فليحة حسن، **(الثّقافة والمثاقفة)، وحدة جذر أم اختلاف مضمون؟**،موقع مركز النّور للدّراسات، 2010/01/22م:

http://www.alnoor.se/article.asp?id=67123

(24) ينظر: محمّد عابد الجابري، **ليس في ثقافتنا مفهوم للآخر وحوار الثّقافات شعار ظرفيّ**،لقاء مع د. محمّد عابد الجابري، مجلّة أيس، السّداسي الأوّل، دار أخبار الصّحافة، الجزائر، 2007م، ص ص 66-67.

(25) ينظر: شكري عيّاد، **نحن والغرب**،كتاب الهلال، العدد 477 ، القاهرة، 1990م، ص 34.

(26) عزّ الدّين المناصرة، **المثاقفة والنّقد المقارن-منظور إشكالي**، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، بيروت، 1996م، ص 74.

(27) ينظر: م. م. رواء نعاس محمّد، **مرجع سابق**،ص 172.

(28) ينظر: جابر عصفور، **حوار الحضارات والثّقافات**، **مرجع سابق**، ص 23.

(29) ينظر: توفيق بن عامر، **مرجع سابق**،صص 14-16.

(30) ينظر: فيصل درّاج، **مرجع سابق**.

(31) ينظر: جورج سارتون، **تاريخ العلم**، ترجمة: محمّد خلف الله وآخرون، الجزء الأوّل، القاهرة، 1957م، ص 21. وإبراهيم أبو عرقوب، **الإتّصال الإنساني ودوره في التّفاعل الإجتماعي**،الطّبعة الأولى،دار مجدلاوي للنّشر والتّوزيع، الأردن، 1993م، ص ص 44-48.

(32) ينظر: بول ريكور، **نظريّة التّأويل: الخطاب وفائض المعنى**، ترجمة: سعيد الغانمي، الطّبعة الأولى، المركز الثّقافي العربي، بيروت، لبنان-الدّار البيضاء، المغرب، 2003م، ص ص26-37.

(33) ينظر: مجدي أحمد محمّد عبد الله، **مقدّمة في سيكولوجية الإتّصال والإعلام**، الطّبعة الأولى، دار المعرفة الجامعيّة – سوتير-، الإسكندريّة، 2008م، ص 25 و ص 76.

(34) ينظر: فيصل درّاج، **مرجع سابق**.

(35) ينظر: **المرجع نفسه**.

(**36**) ينظر: نوره هادي السّعيد، **دور التّرجمة في العولمة**،مجلّة الجوبة، مؤسّسة عبد الرّحمٰن السّديري الخيريّة، العدد 33، الرّياض، المملكة العربيّة السّعوديّة، خريف 1432هـ-2011م، ص 14.

(**37**) J. C. Catford, **A Linguistic Theory of Translation**, London, Oxford University Press, 1965, p. 1.

(**38**) ينظر:محمد زرمان، **التّرجمة وفعل المثاقفة**،كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة باتنة، الجزائر، مقالة منشورة على موقع "غوغل"، 2014/08/02م، ص ص 1-2 :

(http://faculty.ksu.edu.sa/dobyan/DocLib3/محمدزرمان.doc).

(**39**) ينظر: نوره هادي السّعيد، **مرجع سابق**، ص 14.

(**40**)ينظر: محمّد سعيد الرّيحاني، **التّرجمة جسر عبور بين تقديم الذّات والتّعريف بالآخر**،مجلّة الجوبة، العدد 33، الرّياض، مؤسّسة عبد الرّحمٰن السّديري الخيريّة، المملكة العربيّة السّعوديّة، خريف 1432هـ-2011م، ص ص 16-17.

(**41**)ينظر:معن علي المقابلة، **حركة التّرجمة في العصر العبّاسي تواصل مع الآخر**،وزارة التّربية والتّعليم الأردنيّة، 2009م، ص ص 2-3.

(**42**)شحادة الخوري،**تعريب التّعليم العالي وصلته بالتّرجمة والمصطلح**،مجلّة اللّسان العربي،نقلا عن:

Fayza EL QASEM, **Traduction et acculturation : de la collusion à la collision**,Revue des lettres et de traduction, Université du Saint-Esprit de Kaslik, Liban, N° 1, 1995, p. 44.

(**43**) ينظر: معن علي المقابلة، **مرجع سابق**، ص 11.

(**44**) ينظر: محمّد سعيد الرّيحاني، **مرجع سابق**،ص 17.

(**45**)ميخائيل نعيمة، **الغربال**، المجموعة الكاملة، المجلّد الثّالث، الطّبعة الأولى، مؤسسة نوفل، بيروت، 1983م، ص 433.

(**46**)ينظر:نوره هادي السّعيد، **مرجع سابق**، ص 15.

(**47**) ينظر:أسعد مظفر الدّين الحكيم، **علم التّرجمة النّظري**،الطّبعة الأولى، دار طلاس للدّراسات والتّرجمة والنّشر، سوريا، 1989م، ص 25.

(**48**)ينظر: محمود عبد الله الرّمحي، **التّرجمة..جسر بين الثّقافات**،مجلّة الجوبة، مؤسّسة عبد الرّحمٰن السّديري الخيريّة، العدد 33، الرّياض، المملكة العربيّة السّعوديّة، خريف 1432هـ-2011م، ص 6.

(49) ينظر: محمّد سعيد الرّيحاني، **مرجع سابق**،ص 16.

(50) ينظر:عبده عبّود، **هجرة النّصوص: دراسات في التّرجمة الأدبيّة والتّبادل الثّقافيّ**،منشورات إتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، سوريا، 1995م، ص 16.

(51) ينظر: محمّد عمارة، **العطاء الحضاريّ للإسلام**،سلسلة إقرأ، دار المعارف، القاهرة، 1997م، ص 61.

(52) ينظر:جابر عصفور، **حول المشروع القومي للترجمة**،مجلّة العربي، العدد 494 ، الكويت، يناير 2000م، ص 100.

(53)ينظر:بسمة أحمد صدقي الدجاني، **دور التّرجمة في حوار الحضارات: تجارب رائدة تركت أثرا بارزا في المجتمع المتلقّي**،مركز اللّغات بالجامعة الأردنيّة، مؤتمر دور التّرجمة في حوار الحضارات، جامعة النّجاح الوطنيّة، نابلس، فلسطين، 21 أكتوبر 2007م، ص 142.

(54)ينظر: قاسم حسن القفة، **دور التّرجمة في نقل المعارف وإثراء اللّغة العربيّة**،جامعة الزّاوية، ليبيا، المؤتمر الدّولي الثّاني للّغة العربيّة، المجلس الدّولي للّغة العربيّة، دبي، 7-10 مايو 2013م/27-30 جمادى الآخر 1434هـ، ص 2.

(55)ينظر: غسّان السيّد، **التّرجمة الأدبيّة والأدب المقارن**،مجلّة جامعة دمشق، المجلّد 23، العدد الأوّل، 2007م، ص ص 62-63.

(56)رشيد برهون، **التّرجمة ورهانات العولمة والمثاقفة**،مجلة عالم الفكر، العدد الأوّل، المجلّد 31،الكويت، سبتمبر 2002م، ص 171.

(57)**المرجع نفسه**،ص 175.

(58)**المرجع نفسه**،ص 172.

(59) تيسير شيخ الأرض، **التّرجمة بين الفعل والإنفعال الثّقافي**، مجلّة الوحدة، عدد 61/62، أكتوبر/نوفمبر 1989م، ص 13.

(60) محمد نبيل نحاس الحمصي،**التّرجمة والتّعريب: واقعهما وأهدافهما وسبل تطويرهما**،كليّة اللّغات والتّرجمة، موقع جامعة الملك سعود، 12 جوان 2010م، ص 1:

http://faculty.ksu.edu.sa/67297/publications/Recherches/.doc

(61) ينظر: **المرجع نفسه**،ص ص 1-2.

(**62**)عبد الكريم ناصيف، **التّرجمة: أهميّتها ودورها في تطوير الأجناس الأدبيّة**، مجلّة الوحدة، العدد 62/61، أكتوبر/نوفمبر، 1989م، ص61.

(**63**)مسعود ظاهر، **الإتّجاهات الأساسيّة لحركة التّرجمة في لبنان والوطن العربي**، مجلّة الوحدة، العدد 62/61، أكتوبر/نوفمبر، 1989م، ص 47.

(**64**) عبد الكريم ناصيف، **مرجع سابق**، ص 59.

(**65**) مسعود عمشوش، **المثاقفة: أبرز آليّات حوار الحضارات**، موقع "يمنيتا"، 27 أكتوبر 2010م:

www.yemenitta.com/maqal 8.htm

(**66**)عبد الرّحيم حزل، **أسئلة التّرجمة**، سلسلة شراع، العدد 55، طنجة، المغرب، ماي 1999م، ص 19.

(**67**) عبد الكريم ناصيف، **مرجع سابق**، ص 58.

(**68**) مسعود عمشوش، **مرجع سابق.**

(**69**)**المرجع نفسه.**

(**70**)رشيد برهون، **مرجع سابق**، ص 180.

(**71**)مسعود عمشوش، **مرجع سابق.**

قائمة المصادر والمراجع:

- **قائمة المراجع العربيّة:**

(**1**) إبراهيم أبو عرقوب، **الإتّصال الإنساني ودوره في التّفاعل الإجتماعي**،الطّبعة الأولى، دار مجدلاوي للنّشر والتّوزيع، الأردن، 1993م.

(**2**) أحمد الموصلّي ولؤي صافي، **جذور أزمة المثقّف في الوطن العربيّ**،الطّبعة الأولى،دار الفكر المعاصر، بيروت، 2002م.

(**3**)أسعد مظفر الدّين الحكيم، **علم التّرجمة النّظري**،الطّبعة الأولى، دار طلاس للدّراسات والتّرجمة والنّشر، سوريا، 1989م.

(4)بسمة أحمد صدقي الدجاني، **دور التّرجمة في حوار الحضارات: تجارب رائدة تركت أثرا بارزا في المجتمع المتلقّي**،مركز اللّغات بالجامعة الأردنيّة، مؤتمر دور التّرجمة في حوار الحضارات، جامعة النّجاح الوطنيّة، نابلس، فلسطين، 21 أكتوبر 2007م.

(5)بول ريكور، **نظريّة التّأويل: الخطاب وفائض المعنى**، ترجمة: سعيد الغانمي، الطّبعة الأولى، المركز الثّقافي العربي، بيروت، لبنان-الدّار البيضاء، المغرب، 2003م.

(6) توفيق بن عامر، **المثاقفة والتّغيير**،المؤتمر السّابع عشر: ثقافة التّغيير، جامعة فيلاديلفيا، عمّان، الأردن، الثّلاثاء 2012/11/6م:

www.philadelphia.edu.jo/arts/17th/day.../tawfiq.doc

(7) تيسير شيخ الأرض، **التّرجمة بين الفعل والإنفعال الثّقافي**، مجلّة الوحدة، عدد 62/61، أكتوبر/نوفمبر 1989م.

(8)جابر عصفور، **حوار الحضارات والثّقافات**،كتاب في جريدة، العدد 101، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، بيروت، 3 كانون الثّاني (يناير) 2007م.

(9)جابر عصفور، **حول المشروع القومي للترجمة**،مجلّة العربي، العدد 494، الكويت، يناير 2000م.

(10)جورج سارتون، **تاريخ العلم**، ترجمة: محمد خلف الله وآخرون، الجزء الأوّل، القاهرة، 1957م.

(11) جورج طرابيشي، **شرق وغرب رجولة وأنوثة: دراسة في أزمة الجنس والحضارة في الرّواية العربيّة**، الطّبعة الرّابعة، دار الطّليعة، بيروت، 1997م.

(12) رشيد برهون، **التّرجمة ورهانات العولمة والمثاقفة**،مجلّة عالم الفكر، العدد الأوّل، المجلّد 31،الكويت، سبتمبر 2002م.

(13)رواء نعاس محمّد، **المثاقفة والمثاقفة النقديّة (في الفكر النّقدي العربي)**،مجلّة القادسيّة في الآداب والعلوم التّربويّة، العددان (3-4)، المجلّد 7، عدن، اليمن، 2008م.

(14)شكري عيّاد، **الأدب في عالم متغيّر**،الهيئة المصريّة العامّة للتّأليف والنّشر، القاهرة، 1971م.

(15)شكري عيّاد، **نحن والغرب**،كتاب الهلال، العدد 477، القاهرة، 1990م.

(16)عبد الرزّاق دوّاي، **في الخطاب عن المثاقفة والهويّة الثّقافيّة**،مجلّة أيس، العدد الثّاني، السّداسي الأوّل، دار أخبار الصّحافة، الجزائر، 2007م.

(18)علي أومليل، **سؤال الثّقافة: الثّقافة العربيّة في عالم التحوّل**، المركز الثّقافيّ العربيّ، الدّار البيضاء، المغرب، 2005م.

(19) فليحة حسن، (**الثّقافة والمثاقفة)، وحدة جذر أم اختلاف مضمون؟**،موقع مركز النّور للدّراسات، 2010/01/22م:

http://www.alnoor.se/article.asp?id=67123

(20)فيصل درّاج، **المثاقفة بين الرّغبة والحقيقة**،موقع مجلّة التّسامح، مقالات العدد الثّاني لسنة 1423هـ/2003م:

http://www.altasamoh.net/Article.asp?Id=25

(21)قاسم حسن القفة، **دور التّرجمة في نقل المعارف وإثراء اللّغة العربيّة**،جامعة الزّاوية، ليبيا، المؤتمر الدّولي الثّاني للّغة العربيّة، المجلس الدّولي للّغة العربيّة، دبي، 7-10 مايو 2013م/27-30 جمادى الآخر 1434هـ.

(22)عبد الرّحيم حزل، **أسئلة التّرجمة**، سلسلة شراع، العدد 55، طنجة، المغرب، ماي 1999م.

(23)عبد الكبير الخطيبي، **في الكتابة والتّجربة**،ترجمة: محمّد برادة، الطّبعة الأولى، دار العودة، بيروت، لبنان، 1980م.

(24)عبد الكريم ناصيف، **التّرجمة: أهميّتها ودورها في تطوير الأجناس الأدبيّة**، مجلّة الوحدة، العدد 62/61، أكتوبر/نوفمبر، 1989م.

(25) عبده عبّود، **هجرة النّصوص: دراسات في التّرجمة الأدبيّة والتّبادل الثّقافيّ**،منشورات إتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، سوريا، 1995م.

(26) عزّ الدّين المناصرة، **المثاقفة والنّقد المقارن-منظور إشكالي**، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، بيروت، 1996م.

(27)غسّان السيّد، **التّرجمة الأدبيّة والأدب المقارن**،مجلّة جامعة دمشق، المجلّد 23، العدد الأوّل، 2007م.

(28) كلود ليفي ستراوس، **كتاب التنوّع البشري الخلّاق**،مجموعة دراسات لعلماء في الأنثروبولوجيا، صادر عن المشروع القومي للتّرجمة، المجلس الأعلى للثّقافة، رقم 27، مصر، 1997م.

(29) مجدي أحمد محمّد عبد الله، **مقدّمة في سيكولوجية الإتّصال والإعلام**، الطّبعة الأولى، دار المعرفة الجامعيّة – سوتير-، الإسكندريّة، 2008م.

(30)محمد زرمان، **التّرجمة وفعل المثاقفة**،كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة باتنة، الجزائر، مقالة منشورة على موقع "غوغل"، 2014/08/02م:

http://faculty.ksu.edu.sa/dobyan/DocLib3/محمدزرمان.doc).

(31)محمد سعيد الرّيحاني، **التّرجمة جسر عبور بين تقديم الذّات والتّعريف بالآخر**،مجلّة الجوبة، العدد 33، الرّياض، مؤسّسة عبد الرّحمٰن السّديري الخيريّة،المملكة العربيّة السّعوديّة، خريف 1432هـ-2011م.

(32) محمد عابد الجابري، **ليس في ثقافتنا مفهوم للآخر وحوار الثّقافات شعار ظرفيّ**،لقاء مع د. محمّد عابد الجابري، مجلّة أيس، السّداسي الأوّل، دار أخبار الصّحافة، الجزائر، 2007م.

(33) محمد عمارة، **العطاء الحضاريّ للإسلام**،سلسلة إقرأ، دار المعارف، القاهرة، 1997م.

(34) محمد نبيل نحاس الحمصي، **التّرجمة والتّعريب: واقعهما وأهدافهما وسبل تطويرهما**، كليّة اللّغات والتّرجمة، موقع جامعة الملك سعود، 12 جوان 2010م:

http://faculty.ksu.edu.sa/67297/publications/Recherches/.doc

(35)محمود عبد اللّه الرّمحي، **التّرجمة..جسر بين الثّقافات**،مجلّة الجوبة، مؤسّسة عبد الرّحمٰن السّديري الخيريّة، العدد 33، الرّياض، المملكة العربيّة السّعوديّة، خريف 1432هـ-2011م.

(36)مسعود ظاهر، **الإتّجاهات الأساسيّة لحركة التّرجمة في لبنان والوطن العربي**، مجلّة الوحدة، العدد 62/61، أكتوبر/نوفمبر، 1989م.

(37) مسعود عمشوش، **المثاقفة: أبرز آليّات حوار الحضارات**، موقع "يمنيتا"، 27 أكتوبر 2010م:

www.yemenitta.com/maqal 8.htm

(38)معن علي المقابلة، **حركة التّرجمة في العصر العبّاسي تواصل مع الآخر**،وزارة التّربية والتّعليم الأردنيّة، 2009م.

(39)ميخائيل نعيمة، **الغربال**، المجموعة الكاملة، المجلّد الثّالث، الطّبعة الأولى، مؤسسة نوفل، بيروت، 1983م.

(40)نبيل صموئيل أبادير، **حوار الثّقافات ضرورة مستقبليّة أم رفاهيّة**،الطّبعة الأولى، المكتبة الأكاديميّة، القاهرة، 2005م.

(41)نوره هادي السّعيد، **دور التّرجمة في العولمة**،مجلّة الجوبة، مؤسّسة عبد الرّحمٰن السّديري الخيريّة، العدد 33، الرّياض، المملكة العربيّة السّعوديّة، خريف 1432هـ-2011م.

(42) هيدغر، ليفي ستراوس، ميشيل فوكو، **موت الإنسان في الخطاب الفلسفيّ المعاصر**،ترجمة وتحقيق: عبد الرزّاق الدّاوي، الطّبعة الأولى، دار الطّليعة للطّباعة والنّشر، بيروت، لبنان، 1992م.

- **قائمة المراجع الأجنبيّة:**

(1)Fayza EL QASEM, **Traduction et acculturation : de la collusion à la collision**,Revue des lettres et de traduction, Université du Saint-Esprit de Kaslik, Liban, N° 1, 1995.

(2) Georges DEVEREUX, « **Acculturation antagoniste** »,dansEthnopsychanalyse Complémentariste, Paris, Flammarion, 1972.

(3) J. C. Catford, **A Linguistic Theory of Translation**, London, Oxford University Press, 1965.

(4) Melville Jean HERSKOVITS, **Les Bases de l'Anthropologie Culturelle**, Paris, Maspero, 1967.

(5) Roger BASTIDE, « **ACCULTURATION** », Encyclopædia Universalis :

http://www.universalis.fr/encyclopedie/acculturation/

(6) Tran VAN KHÉ, **L'Acculturation dans les Traditions Musicales de l'Asie**, in : **International Review of Aesthetics and Sociology of Music**, Vol. 5, The Zagreb Institute of Musicology, 1974.